لماذا أنا مسلم؟

تعليم ذاتي يتضمن أهم براهين الإيمان
مع بيان مختصر لأدلة زيف كبريات الملل في العالم

مركز أصول
Osoul Center
www.osoulcenter.com
Rabwah

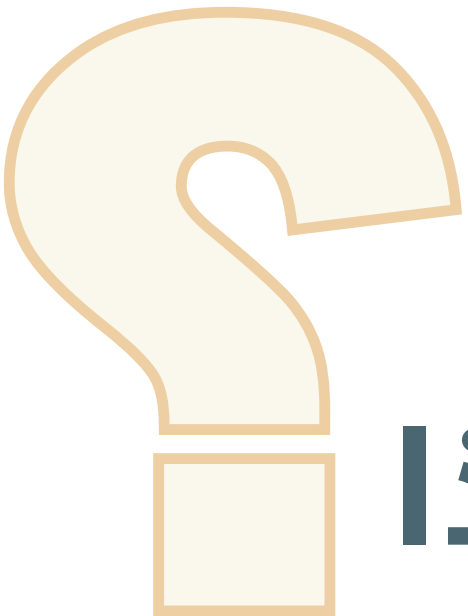

لماذا أنا مسلم؟

تعليم ذاتي ضمن سلسلة
السلوك والتزكية للمسلم الجديد

مركز أصول
Osoul Center
www.osoulcenter.com

ⓒ جمعية الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالربوة ، ١٤٤٥هـ

مركز أصول
سلسلة السلوك والتزكية (٣) : لماذا أنا مسلم؟. / مركز أصول -
ط١. .- الرياض ، ١٤٤٥هـ
٩٠ ص ؛ ..سم

رقم الإيداع: ١٤٤٥/٥٧٠٩
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤١٧-١٧-١

- قام المركز بتصميم هذا الإصدار.
- يتيح المركز طباعة الإصدار ونشره بأي وسيلة مع الالتزام بالإشارة إلى المصدر، وعدم التغيير في النص.
- في حالة الطباعة يجب الالتزام بمعايير الجودة التي يعتمدها مركز أصول.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

لماذا أنا مسلم؟ | وما هو هذا الدين الذي أؤمن به؟ | ولماذا هو وليس غيره؟ | وماذا يعني انتمائي له؟

هذه أسئلة مهمة لمن أراد أن يدعم إيمانه بالأدلة والبراهين، وتحتاج لكثير من الأجوبة الكافية الشافية التي تزيل الغبش عنها، لا سيما في هذا العصر الذي نعيش فيه؛ عصر الفضاءات المفتوحة، وكثرة المذاهب والأفكار الفلسفية المطروحة.

ولأهمية هذه الأسئلة، فقد استحق الجواب عن بعضها أن يأتي الملَك جبريل عليه السلام في صورة بشر إلى نبينا محمد ﷺ وهو بين أصحابه، ليسأله عن أركان الإسلام والإيمان، فيجيبه النبي ﷺ عنها، فيَتعلم الناسُ أمورَ دينهم.

وللإجابة عن هذه الأسئلة يأتي هذا الكتاب ليتضمن أهم براهين الإيمان، مع تعريج مختصر على أدلة زيف كبريات الملل والنحل الرائجة في العالم اليوم، وليذكر عظيم النعمة بكون الإنسان مسلمًا، وأثر ذلك عليه في الدنيا والآخرة.

غاية الكتاب ربط الناس بخالقهم، وتعميق إيمانهم بالدين الذي ارتضاه لهم، والتدليل على دور عقيدة الإسلام في تحرير الروح الإنسانية، والنفس البشرية، من أغلال الشرك والإلحاد والهوى، والشهوات المؤدية لكل المهلكات، الموقعة بني آدم في البؤس والشقاء في هذه الحياة، وفي العذاب الأليم يوم القيامة.

هذا الكتاب موجه للمسلم الجديد، يخاطب عقله، كما يخاطب قلبه ونفسه؛ ليُثبِّته على الإيمان، بأدلة الوحي والعقل، وهو في الوقت نفسه موجه لكل شخصٍ باحثٍ عن الحقيقة؛ لعله يرى النور.

فنسأل الله تعالى أن يجعله عملًا نافعًا مباركًا، مثَبِّتًا للإيمان ومعزِّزًا لليقين.

محتويات الكتاب

المحور الأول

بيان أصول اعتقاد أهل الإسلام

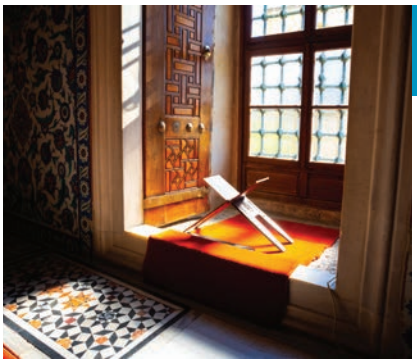

تمهيد ١٠

الولادة الجديدة! ١٢

من رحاب التفكر انطلقت!! ١٦

من الإيمان بوجود خالق إلى اليقين بوحدانيته ٢٢

إبهار القرآن ٢٤

صفات الله تعالى وأفعاله كاملة لا نقص فيها ٢٦

التقويم ٢٨

المحور الثاني

البحث عن الدين الحق

اختبار الأديان ٣٢

البوذية ٣٤

الهندوسية ٣٦

النصرانية ٣٨

اليهودية ٤١

أين هو الحق؟ ٤٤

اللقاء الأول بالقرآن ٤٦

ثم آمنت! ٤٨

البحث عن الإسلام الصافي ٥٤

التقويم ٥٨

المحور الثالث

أهمية كون الإنسان مسلمًا

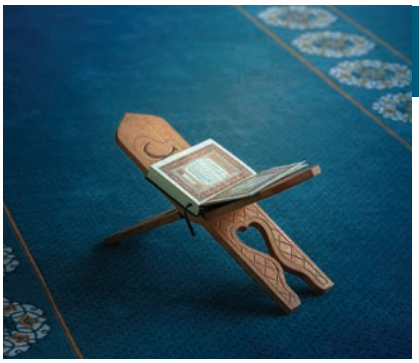

معرفة وظيفة الإنسان ٦٢

الدعوة إلى الله ٦٤

أثر الإيمان على النفس ٦٨

التقويم ٧٠

المحور الرابع

الحرص على التمسك بالإسلام

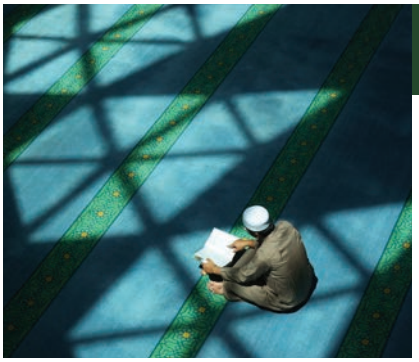

نهاية الرحلة ٧٤

الحرص على تحقيق التوحيد ٧٦

الابتعاد عن الشرك والخرافات ٧٨

التحرر من هوى النفس ٨٠

التحرر من المعاصي والذنوب ٨٢

التقويم ٨٤

المحور الأول

بيان أصول
اعتقاد أهل الإسلام

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يلم بالأمور الضرورية الواجب تعلمها من قِبَل كل مسلم في باب الاعتقاد.
- يستدل بالأدلة العقلية والنقلية على وجود الله وأن للكون خالقًا.
- يعرِّف مفهوم الفطرة ويشرح دورها في الدلالة على وجود الله.
- يستدل على وحدانية الله وكمال صفاته.
- يستدل على أركان الإيمان بالعقل والنقل.
- يبرهن على صحة القرآن الكريم .

تمهيد

لماذا أنت مسلم؟

ما الذي دفعك لاعتناق هذا الدين؟

ماهي معتقدات المسلمين؟

ما هي الدلائل التي اعتمدت عليها لتدخل الإسلام؟

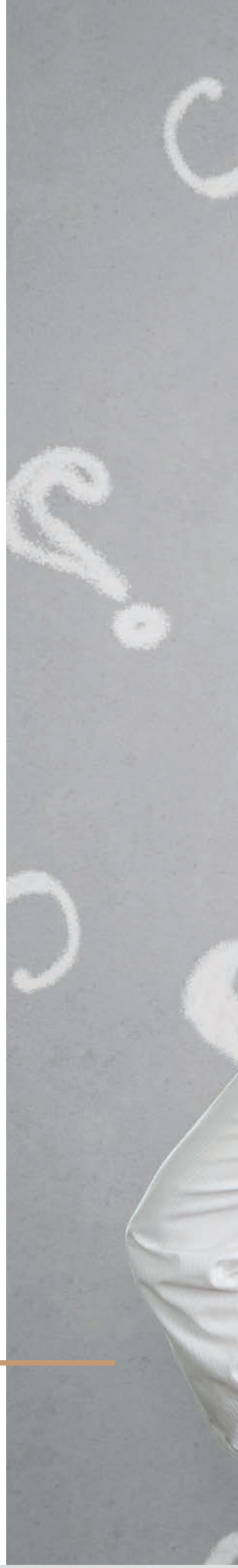

تلك الأسئلة أُسألها من الناس حولي، منذ اليوم الأول الذي أعلنت فيه إسلامي.

أما السائلون لي فأنواع ثلاثة:

فمنهم من يسأل ساخرًا: سمعت أنك على دين أهل الصحراء! فبم يؤمن هؤلاء يا ترى؟

ومنهم من يسأل من باب الفضول العابر؛ ليسمع قصة جديدة أو غريبة.

ومنهم من يبحث عن الحقيقة ويُعمِل عقله وفكره، ولديه من الجرأة والحرية ما يدفعه في حال اقتناعه لأخذ خطوة نحو الحق والحقيقة.

ولقد رأيت أن جمع الأجوبة عن هذه الأسئلة، وعرض تفاصيل رحلتي للإسلام يمكن أن يكون أمرًا مفيدًا.

الولادة الجديدة!

لقد كان يومًا مشهودًا لا يمكن أن يُمحى من ذاكرتي ما حييت..

إنه اليوم الذي نطقت فيه بشهادة «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، فصرت بها مسلمًا!

إن لساني يعجِز عن وصف المشاعر التي امتلأ بها قلبي حال نطقي بالشهادة؛ لقد اختلط شعور الفرح الغامر، بشعور الامتنان العظيم لله جل جلاله، بشعور الجلال لهيبة الموقف، ثم فاضت تلك المشاعر من قلبي على أعضائي -بل على كل خلية من جسدي- فتجاوبت معها عيناي بدموع الفرح.

لقد شعرتُ يومها أنَّ جبلًا كان على كتفي فانزاح، أو أنَّ كل هموم الدنيا وآلامها كانت على صدري فزالت.

بل لقد شعرتُ أنني ولدتُ من جديد.

وكم كانت دهشتي عظيمة، وسعادتي كبيرة، عندما قرأت لاحقًا آية في القرآن الكريم تقول:

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (الأنعام : ١٢٢).

يومها قلتُ في نفسي: يا إلهي! إنه أنا، إن هذه الآية تتحدث عني أنا.

لقد كنت زمن الكفر كالميت فأحياني الله بالإيمان.. لقد كنت في الظلمات فجعل لي نورًا أهتدي به في حياتي بين الناس.

إنه الإسلام!

ولكن كيف حصل ذلك؟ وكيف أنار الله لي الطريق؟.. إنها رحلة طويلة.

الشرارة الأولى

كان يومًا عاديًّا ككل الأيام، ولم يعكِّر صفوه سوى خصام وقع مع زوجتي قبل ذهابي للعمل، ولما عدت للمنزل وجدت طاولة الطعام مليئة بأصناف متنوعة، فقلت في نفسي:

رائع! لقد أعدَّت زوجتي هذه الأطباق الشهيَّة لنصطلح ونتجاوز الخصام.

فلما رأيتها وشكرتها على ما صنعَت، نظرت إليَّ بعين المخاصِم وقالت:

لمْ أُحَضِّر أي طعام!

قلت في نفسي:

فمن حضَّره إذًا ونحن نعيش وحدنا في البيت؟

آه، لعلها تريد الصلح معي ولكن على طريقتها.

ارتحتُ لهذا التفسير، فعدتُ لشكرها على إعداد الطعام، وأبديتُ إعجابي بتنوعه، وقلتُ لها مع ابتسامة عريضة:

هيا يا عزيزتي، دعينا ننسى خلافنا، ونستمتع بطعامك الشهي.

لكنها أقسمتْ أنها لم تُحضِّر الطعام، وأردفت:

لعل الصدفة المحضة هي من حضَّرته لك!

وقفتُ مذهولًا وكلماتها ترن في أذني...

الصدفة المحضة؟!

لقد أيقظتني زوجتي بعبارتها هذه من وهم كبير دون أن تشعر!

ما هي إلا لحظات وإذ بابنتي تخرج من إحدى الغرف، فعرفت أنها جاءت لزيارتنا ولما علِمت بخلافنا حضَّرت لنا الطعام.

نسيتُ أمر خلافنا، وبقيت عبارة زوجتي ترن في أذني:

لعل الصدفة المحضة هي من حضَّرته لك!

لقد أحسست أن هذه الحادثة كانت لي بمثابة التفاحة التي سقطت على رأس نيوتن، وقدحت في ذهنه تلك الشرارة التي اكتشف بها قانون الجاذبية.

لقد كنتُ فيما سبق لا أشغل بالي كثيرًا بأمر الدين؛ فالإله غير موجود، والإنسان اخترع فكرة الإله لينظم حياته، والكون نشأ صدفة بانفجار كبير.

هكذا كنت آخذ الأمر ببساطة، حتى فاجأني ما يهدم كل ذلك في عقر داري ومن أقرب الناس إلي!

أخذت الأسئلة تقرع باب عقلي بقوة:

كيف أقبل أن يوجد –من العدم وبلا موجد– كون شاسع، له قوانين حاكمة، لو اختل جزء منها لاضطرب واختل، بل لانهار وتلاشى؛ ولا أقبل أن باب الثلاجة قد فُتِح بنفسه فخرج الطعام منها، فوجد الأطباق مستعدة لاحتضانه بذاتها، فسقط الطعام كلٌّ في طبق، ثم طارت الأطباق إلى الطاولة بترتيب جميل؟!

أي منطق أن يؤمن الإنسان بالفكرة ونقيضها في الوقت نفسه، ثم يُحَكِّم الفكرة في موضع، ويُحَكِّم النقيض في موضع آخر؟!

كيف لي أن أُؤمن بأن هذا الكون الفسيح، بكل ما فيه من مجرات تمتلئ بمليارات الشموس والنجوم والكواكب، قد وُجِد بمحض الصدفة دون أن يوجده أحد؟!

حالي في الأيام التالية لهذه الحادثة لم تكن كحالي قبلها!!

فما كنت أعده أمرًا بسيطًا لا يستحق الوقوف عنده كثيرًا، صار أمرًا مهمًّا ملحًّا.

وما كنت أراه أمرًا صحيحًا، صرت أراه أمرًا سخيفًا لا يليق بالعقلاء!

لقد صرت أتساءل:

- من أوجدني وأوجد هذا الكون، وما الدليل على وجوده؟
- لماذا أوجدني وماذا يريد مني؟
- هل يوجد شيء بعد الموت، أم أنَّ به ينتهي كل شيء؟
- وإذا كان هناك شيء بعده فما هو؟

أبى عليَّ عقلي أن يتوقف عن التفكير منذ تلك الشرارة التي انقدحت.

وكان لا بد لعقلي من الحصول على أجوبة.

ولهذا قررت أن أبدأ رحلة لا ككل رحلات حياتي السابقة.

رحلة البحث عن الحقيقة.

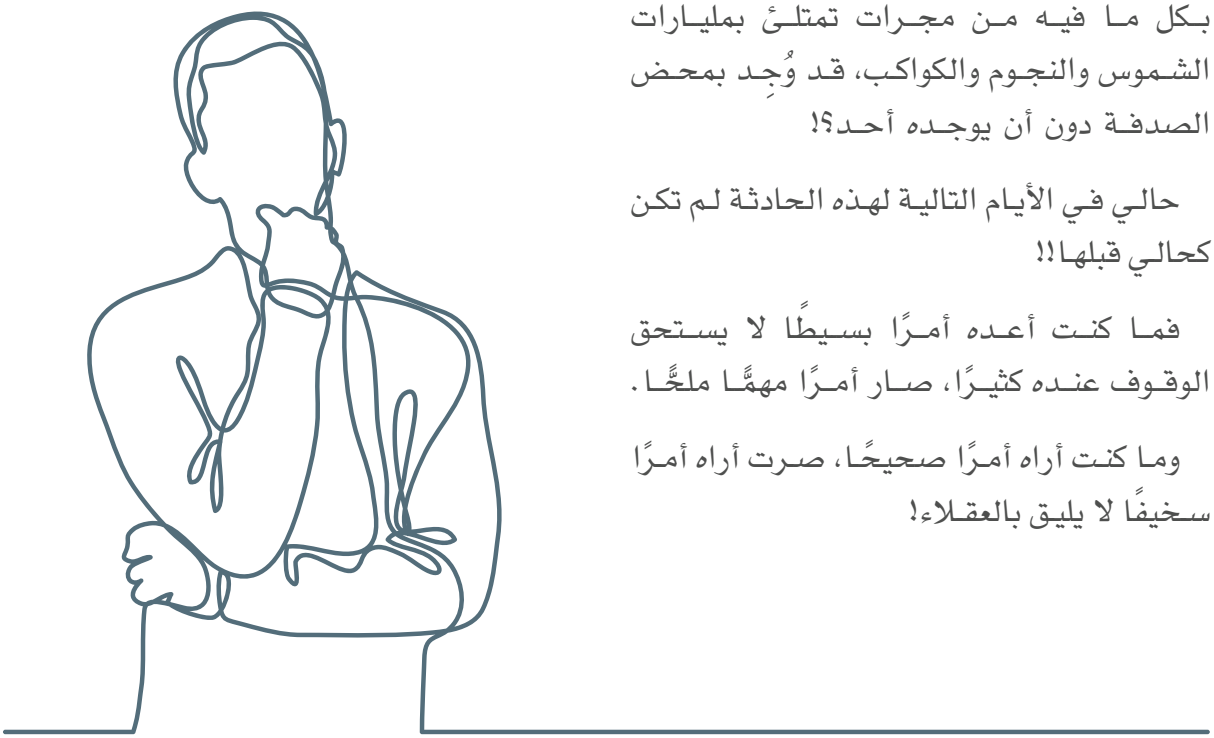

هل تعلم

أن من أنواع الذكاء التي يتمتع بها الإنسان نوعًا يسمى الذكاء الوجودي؟ حيث يهتم الإنسان الذي يتمتع بهذا النوع من الذكاء بطرح الأسئلة الوجودية، ومحاولة معرفة الإجابة عنها في مختلف الأديان والفلسفات.

والأسئلة الوجودية تدور حول:

- من أوجدني وأوجد هذا الكون؟
- لماذا وُجِدت؟ وما هي وظيفتي؟ وما هو المراد من وجودي؟
- إلى أين المصير؟

نشاط

اختبر أصدقاءك واكتب إجاباتهم على الأسئلة الوجودية.. قارن بين الأجوبة.

فكر وناقش

- لماذا لا يعير كثير من الناس اهتمامًا لهذه الأسئلة؟
- ما الذي يستفيده الإنسان من الاهتمام بهذه الأسئلة وإجاباتها؟ وما الذي يفقده عند عدم اهتمامه بها؟
- ماذا تستنتج؟

من رحاب التفكُّر انطلقت!!

اهتزت قناعتي السابقة بإرجاع وجود الكون للصدفة هزًّا شديدًا، وصرت أميل نفسيًّا إلى وجود مُوجِد أوجده، لكنني عاهدتُ نفسي في بداية رحلتي أن يكون بحثي عن الحق بحثًا صادقًا، والحق لا يُعرف بالميل النفسي المجرد، فلا بد له من براهين وأدلة ساطعة تؤيده، فرحت أقرأ وأبحث، وأفكر وأتحرى.

> **في بداية** بحثي وجدت فلسفات قديمة كانت تقول إن هذا الكون قديم ليست له بداية، ومن ثَمَّ فلا يوجد له خالق أصلًا!

ورغم أن هذه الفكرة قد تعرضت لضربة موجِعة، وتكاد تكون سقطت مع حصول ما يشبه الإجماع من العلماء في القرن العشرين على نظرية الانفجار العظيم، والتي تقوم على أن للكون بداية وأنه ليس قديمًا، إلا أنه ما زال يوجد من يقول بقدم الكون، ولهذا أردتُ اختبار هذا القول.

إن إبطال هذه الفلسفة لا يحتاج لأكثر من قليل من التأمل، فإن هذا الكون ما هو إلا مجموع الكائنات التي فيه؛ من مجرات وشموس وكواكب، وحيوان ونبات وجماد، ولا يوجد شيء من هذه الأشياء إلا له بداية، فإذا كان كل جزء من أجزاء الكون ومكوناته له بداية، فهذا يعني بالضرورة أن الكون له بداية.

ما أعجب أن تتيه عقول «فلاسفة كبار» عن مثل ذلك!

أدلة وجود خالق للكون

بعد أن اطمأننت إلى أن الكون «حادثٌ»، أي ليس قديمًا وإنما وِجد بعد أن لم يكن موجودًا، عدتُ للنقطة الأولى، لأبحث عن الدليل على أنه قد أوجده موجِد ولم يوجد صدفة.

دليل الإيجاد:

بشيء من التفكير والتأمل ظهر لي أن وجود الكائنات بعد أن لم تكن موجودة، يعني بالضرورة أن وجودها ليس شيئًا حتميًّا، أي أنها كان يمكن أن توجَد، كما كان يمكن ألا توجد، فما الذي أخرجها من العدم إلى الوجود؟

ظهرت لي ثلاثة احتمالات لا رابع لها:

الأول: أنها وُجِدت بلا شيء، وبلا سبب، وبلا مُوجِد؛ أي صدفة.

الثاني: أنها أوجدت نفسَها.

الثالث: أنه أوجدها موجِد.

أما الأول، فإن كل ما نشاهده حولنا يُكَذِّبه، وما حادثة إعداد الطعام التي أيقظتني من غفلتي ببعيدة.

إننا لا نعلم شيئًا في هذا العالم الذي نشاهده إلا وقد أتى إلى الوجود بسبب، فالطفل من أبوين، والثمرة من الشجرة، والشجرة من بذرة؛ والمطر من السحاب، والسحاب من تبخر مياه البحار والمحيطات، وهكذا.

إن أيًّا من مدعي ظهور الكون للوجود صدفة، لا يقبلون هذا التفسير في أتفه الأمور التي من حولهم، فكيف يقبلونه في الكون الذي يحوي كل ما يشاهدونه؟

ما أعجب أن تتيه عقول «فلاسفة كبار» عن مثل ذلك!

أما الثاني فإن إخراج الكائنات من العدم إلى الوجود لا بدَّ أن يكون بقوة ما، فهل يمكن أن تكون هذه القوة ذاتية؟

هل يمكن أن تكون النجوم والكواكب قد أوجدت نفسَها؟

هل يمكن أن تكون الكائنات الحية والأشجار والنباتات والجبال والسهول والبحار قد أوجدت نفسَها؟

إن هذا الاحتمال لا يقل سخافة عن الأول، لأن أحدًا من العقلاء لا يجادل في أن الشيء لا يمكن أن يوجِد نفسَه، وعدُّ هذا شيئًا ممكنًا ضرب من الجنون!

فمجرد ذكر هذه الصورة كفيل بردِّها ورفضها.

وبهذا لم يبقَ إلا احتمال واحد، وهو أن يكون قد أوجَد هذه الكائنات موجِد من خارجها، وهو خالقها الذي أوجدها بعد أن لم تكن.

وكم كانت سعادتي غامرة عندما قرأت لاحقًا قول الله عز وجل: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (سورة الطور: ٣٥ ، ٣٦)، فإن هذه الآية الكريمة تقيم الدليل على بطلان الاحتمالين الأَوْلَيَين، فلا يبقى سوى إثبات وجود الله عز وجل.

ولهذا ذكر أحد الصحابة أنه لما سمع الآية قبل إسلامه كاد قلبه يطير، لما رأى فيها من قوة الحجة والبرهان.

مشكلة وحلها:

مر ببالي خاطر أقلقني!

إذا كان هذا الكون بحاجة لموجِد، فلم لا يكون هذا الموجِد بحاجة لموجِد، ولماذا لا يكون الموجِد الثاني بحاجة لموجِد آخر؟

التفكير في هذا الأمر أتعبني، فرحت أقرأ وأبحث عن حل الإشكال، وفي نهاية المطاف وجدت جوابًا كافيًا شافيًا:

إنَّ وجود أيِّ شيء لو كان متوقفًا على وجود ثانٍ، وكان وجود الثاني متوقفًا على وجود ثالث، وهكذا إلى ما لا نهاية، فإنَّ وجود أيِّ شيء من هذه الأشياء يكون مستحيلًا!

ولتوضيح هذا الجواب وجدتُ هذا المثال:

لنفرض أنه يوجد جندي معه بندقية، لكنه لا يطلق النار إلا بأمر قائده، وهذا القائد لا يأمره بالإطلاق إلا بأمر من قائد أعلى منه، وقائده هذا كذلك لا يأمر بالإطلاق إلا بأمر ممن هو أعلى منه، وهكذا، فإن هذا الجندي لن يطلق النار أبدًا؛ إلا إذا وُجِد قائد يأمر بالإطلاق دون حاجة لأمر من أحد.

وهذا يعني أنه يستحيل أن يوجد هذا الكون لو كان موجِده بحاجة لموجِد، وهذا يعني بالضرورة استحالة وجود موجِد لخالق الكون، بل إن وجوده أزلي ليس قبله شيء البتة.

دليل الإتقان:

إن مشاهد الإتقان والإحكام مبثوثة في كل شيء في هذا الكون العظيم، بدءًا من الخلية ومكوناتها، والذرة وأجزائها، مرورًا بكل الكائنات الحية وغيرها، وانتهاء بالكواكب والنجوم والمجرات، وقد جاءنا العلم في العصر الحديث بما يبهر العقول حول تفاصيل هذا الإتقان.

ورغم أنني كنت قديمًا أشعر بانبهار من هذا الإتقان، إلا أنني كنت -مع الأسف- أقف عند حدود ما أشاهده من إتقان، ولا أسأل السؤال المهم.

إنه سؤال واحد، لكنه صار يأتيني كل مرة بهيئة جديدة:

- كيف يمكن وجود تصميم بلا مُصمم؟!
- كيف يمكن وجود نظام بلا مُنظِّم؟!

- كيف يمكن وجود إبداع وإتقان بلا مُبدع مُتقن؟!
- وكيف يعتقد عاقل أن هذا الإتقان المذهل للكون لا يحتاج لخالق أتقن صنعه، وأودع فيه من القوانين الدقيقة ما يضبط حركته، وأن الصدفة وقانون الاحتمالات كفيلان بذلك؟!
- كيف للصدفة أن تبدع كونًا بهذا التناسق والانضباط والإتقان؟!
- هل يقبل العقل السليم أن يكون كل هذا حدث صدفة من غير خالق عليم حكيم قدير؟

كان عقلي يصيح بأعلى صوته في كل مرة: هذا غير ممكن بكل تأكيد.

ومرة أخرى تمر بي الأيام، ثم أجد آيات القرآن الكريم تؤيد ما توصلت إليه بالتفكير الحر السليم، يقول الله تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ (النمل: ٨٨).

ويقول في آية أخرى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ (الملك: ٣، ٤)، أي أن الله هو الذي خلق هذا الكون بلا خلل، وإنما بإتقان تام، ومهما بحث الإنسان عن خلل ونقص فيه فلن يجد!

فكنت أتعجب من هذا الكتاب كيف يخاطب عقلي بالحجة والبرهان، ويثبت لي ما أحدث به نفسي!

خلاصة

إن اتباع المنهج الصحيح في البحث عن أصل وجود الكون، سيوصل بكل تأكيد لوجود خالق عظيم أوجده وأوجد له هذا النظام المحكم الفريد، الذي يسير من غير خلل أو اضطراب.

والقرآن الكريم يدعو كل الناس إلى النظر والتفكر في الآيات الكونية المبثوثة في السماوات والأرض، والآيات الموجودة في أنفسهم وما حوته من عجائب صنع الله، وباهر قدرته، ليدل الخلق إلى الطريق الصحيح لمعرفة الخالق: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ (فصلت: ٥٣).

دليل الفطرة:

أثناء رحلة بحثي عن الحقِّ، تذكرت موقفًا صار معي قبل سنوات.

كنت ضمن مجموعة سياحية في رحلة لمنطقة جبلية، وعند أحد المنحدرات انزلقت الحافلة التي كنا نركبها ففقد السائق السيطرة عليها، وبدت كأنها ستهوي بنا في الوادي السحيق، فلم أشعر بنفسي إلا وأنا أصيح مستغيثًا بخالقي طلبًا للنجاة، وكذلك فعل كل من في الحافلة!

لحظات عصيبة مرت قبل أن يستعيد السائق السيطرة على الحافلة وننجو من موت محقق.

> **كان ينبغي** لهذه الحادثة أن توقظني من غفلتي، لكنني -ويا للعجب- نسيت ما كان من استغاثتي، ولم أعد أذكر القصة إلا كذكرى من الذكريات، وكيف أنني نجوت من الموت وكُتِب لي عمر جديد بفضل مهارة السائق!

ومرة أخرى، يمضي وقت من البحث ثم يبهرني القرآن الكريم، عندما أجده يقول وكأنه يصف حالتي: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (يونس: ٢٢-٢٣).

ويقول: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ (العنكبوت: ٦٥).

لم توقظني تلك الحادثة من غفلتي في حينها، أما الآن فالأمر مختلف، فقد رحتُ أتساءل:

- ترى... ما الذي جعلني أستغيث بالخالق في تلك اللحظة؟
- ما الذي جعلني أتوجه للخالق عند إحساسي بعجزي وافتقاري وضعفي أمام تلك المصيبة؟
- هل كنت أؤمن بخالق أصلًا لأستغيث به؟

الأمر يبدو محيِّرًا!

لكنني لم أجد له سوى تفسير واحد مقبول؛ إن هذه الاستغاثة التي خرجت من أعماق قلبي، لم تكن إلا تعبيرًا عن شيء مستقر في أصل خلقتي، شيء أهالت عليه فلسفتي الفاسدة السابقة أطنانًا من تراب الجهل والغرور والتناقض، لكنه في ساعة الحقيقة انتفض كالمارد، وأزاح كل الهراء وأعلنها صريحة:

إنَّ لك خالقًا لا تلجأ في الشدائد إلا إليه!

إنها الفطرة التي فطر اللّه الناس عليها، أي الجِبِلّة التي خلقهم عليها فتجعلهم دومًا -عند

غياب المؤثرات الأخرى- منقادين للخالق، مستسلمين له، مقرين بوجوده وبحاجتهم إليه.

لقد كانت رسالة واضحة جلية، لكنني للأسف لم ألتقطها في حينها.

لقد صرت الآن على يقين أن النفس تميل ميلًا طبيعيًّا إلى الإيمان بخالقها، إذا سَلِمَت من الانحراف والتشويه، فكما أن الطفل يجد في نفسه الميل لجلب المنفعة ودفع المضرة منذ بداية خلقته؛ كالأكل عند الجوع، والشرب عند العطش، فكذلك يجد في نفسه عندما يكبر ويميِّز إيمانًا بخالق، فيبدأ في السؤال عنه، وهذا الإيمان سيتطور ويزداد مع نموه ووعيه، إذا لم يتعرض لتشويه من والديه أو بيئته التي يعيش فيها.

ومع استمرار بحثي شدتني الآية الكريمة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (سورة الروم: ٣٠)، ووصل إلى مسامعي قول النبي ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ » - أي يجعلانه يهوديًّا أو نصرانيًّا أو مجوسيًّا، حسب ملتهما، بترغيبهما له في ذلك أو بتبعيته لهما- ثُمَّ يَقُولُ راوي الحديث أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (رواه البخاري، ومسلم)

تعزز الإيمانُ بالله تعالى في قلبي وعقلي، فمظاهر وجوده في كل شيء حولي، في كل آية من آيات الكون:

في السماء والهواء والغيوم..

في الليل والنهار..

في اليابسة والبحار..

في الأشجار والأحجار والثمار..

بل في نفسي في كل حال..

فعند صفائها تقيم عليَّ الحُجَّة الشعوريَّة الداخليَّة.

وعند قلقها واضطرابها تنادي خالقها ليساعدها.

خلاصة

من فضل الله تعالى ورحمته بالناس أن خلقهم على جِبلّة تقبل الإيمان بالله تعالى ، وجعل لديهم شعورًا مستقرًا في نفوسهم بوجود الله عز وجل ، بل أكثر من ذلك أن جعل لديهم حاجة قوية دائمًا لهذا الإيمان.

من الإيمان بوجود خالق إلى اليقين بوحدانيته

بعد أن استقرت قضية وجود الله تعالى في عقلي وقلبي، وقفتُ أمام قضية جديدة شغلت فكري؛ قلتُ في نفسي: هناك من يعتقد بوجود خالق واحد، وهناك من يعتقد بتعدد الآلهة، إما آلهة متساوية، أو آلهة في رتب متفاوتة، فأي هذه الاعتقادات هو الصحيح؟

أول ما خطر في بالي أن وجود هذا الكون بهذا النظام والتناسق البديع، لا بد أن يكون حصل بإرادة تامة لا ينازعها شيء، ولو قُدِّر وجود أكثر من إله فلا بد أن يكون لكل واحد إرادة تامة مستقلة، لأنَّ إرادة الإله لو كانت تابعة لإله آخر فإنه لا يكون إلهًا.

افترضت وجود إلهين، وسألت نفسي هذا السؤال:

- **ماذا سيحصل لو أراد كل منهما أمرًا يناقض ما أراده الآخر؟**

كمثال: لو أراد أحدهما خلق البحار مالحة، وأراد الآخر خلق نفس هذه البحار حلوة، فإرادة من التي ستنفذ؟

وضعتُ كل الاحتمالات أمامي لأختبرها:

لو نفذت إرادة أحدهما بطَل أن يكون الآخر إلهًا!

ولو لم تنفذ إرادة أي منهما لم يكن أي منهما إلهًا!

ولا يمكن أن تنفذ الإرادتان في آن واحد، لاستحالة أن تكون البحار حلوة مالحة في وقت واحد.

وأخيرًا

فلو فرضنا أن يُنفِذ الأول إرادته، ثم يُنفذ الثاني إرادته، ثم تعود إرادة الأول لتنفذ فتتبعها إرادة الثاني؛ لاختل نظام البحار!

ولو تخيلنا مثل هذه الصورة في كل الكون لما رأينا هذا النظام والتناسق، ولعمَّ الفساد في أرجائه!

قلتُ في نفسي: هذا يهدم فكرة تعدد الآلهة -بمختلف صورها- من أصلها.

فإذا كان الأمر كذلك، فلم يبقَ إلا احتمال واحد مقبول، بل هو حتميٌّ لا مفر منه، وهو أنه لا يوجد سوى إلهٍ واحدٍ له القدرة التامة والإرادة التامة، فإذا أراد شيئًا فإنه يكون كما شاء، لا ينازعه في ذلك أحد.

إبهار القرآن

ومرة أخرى أبهرني القرآن الكريم عندما وجدته يصرح بهذا المعنى في أجلى صورة بقوله: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ (المؤمنون: ٩٠، ٩١).

وقوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (الأنبياء: ٢١، ٢٢).

شعرتُ بالسعادة لهذه النتيجة التي وصلتُ لها، ففضلًا عن كونها توافق العقل السليم، فإنها كذلك تعطي راحة نفسية عظيمة، فإن تعدد الآلهة سيجعل من الصعب على العباد أن يرضوهم جميعًا، بخلاف أن يكون للإنسان إله حقٌّ واحدٌ يعبده ويمتثل تعاليمه.

وكان من أعجب ما مر بي بعد ذلك أن وجدت القرآن الكريم يتحدث عن هذه الحال؛ حال من يعبد الله وحده فهو في راحة وطمأنينة، وحال من يعبد آلهة متعددة فهو في اضطراب وحيرة!

يقول تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ (الزمر: ٢٩).

إنَّ الآيـة الكريمـة تبيِّـن حـال مَـن يجـب عليـه أن يطيـع أكثـر مـن إلـه؛ فالرجـل الأول هـو المشـرك الـذي لا يسـتقر قلبـه ولا يطمئـن، لأنـه يريـد أن يرضـي عـدة آلهـة، فيعبـد هذا تـارة وهذا تـارة، والثانـي هـو الموحـد، فهـو مطمئـن القلـب، لا يعبـد إلا اللّه وحـده ويسـعى فـي مرضاتـه.

بعـد أن وصلـتُ إلـى هـذه النقطـة، وخرجـت بقناعـة راسـخة بوحدانيـة اللّه تعالـى، انطلقـت مـرة أخـرى إلـى رحـاب التفكيـر لعلـي أصـل فـي نهايـة المطـاف إلـى بنـاء العقيـدة التـي عمادهـا الفكـر الصافـي، الناتـج عـن العقـل الحـر الـذي لا تحكمـه عصبيـة ولا تقليـد للمجتمـع أو الآبـاء.

نشاط

اجمـع بعـض الآيـات الكريمـة التـي موضوعهـا إثبـات وجـود اللّه سـبحانه ووحدانيتـه، ثـم ارجـع إلـى أحـد التفاسـير العلميـة المختصـرة، واكتـب ملخصًـا عـن تفسـيرها وشـاركه مـع أصدقائـك علـى مواقـع التواصـل الاجتماعـي.

.....

.....

.....

.....

.....

.....

إثراء تخيلي

حـاول أن تتخيـل مؤسسـة يقودهـا مديـران لهمـا نفـس المهـام والصلاحيـات، مـاذا سـيحصل فيهـا لـو اختلفـا فـي بعـض أمـور المؤسسـة؟

تخيـل أن كلًا منهمـا متشـبث برأيـه مصـر عليـه لا يقبـل تنـازلًا، وكلًا منهمـا يكافـئ مـن يطيعـه ويعاقـب مـن لا يطيعـه، وربمـا يفصلـه مـن عملـه.

من وجهة نظرك ما المشكلة التي ستواجه العاملين في هذه المؤسسة؟

خلاصة

يؤكـد العقـل السـليم كمـا يؤكـد النقـل الصحيـح وحدانيـة اللّه سـبحانه وتعالـى، ولذلـك فـإن أهـم رسـالة يحملهـا المسـلم بيـن جنبيـه وتميـزه عـن غيـره هـي رسـالة التوحيـد، إذ جـاء الإسـلام فحـارب جميـع مظاهـر الشـرك، ولا تـكاد تخلـو صفحـة مـن صفحـات القـرآن الكريـم من ذمِّ الشـرك والدعـوة للتوحيـد.

صفات اللّٰه تعالى وأفعاله كاملة لا نقص فيها

خلال رحلة بحثي عن الحقِّ اطلعت على أقوال بعض الأديان التي تقول إن الخالق واحد، لكنهم يشبهونه بخلقه!!

كان الأمر غريبًا بالنسبة لي؛ فإذا كان هو وحده الخالق ولا شريك له في ذلك، فيلزم من هذا ألا يشبهه أحد في صفاته؛ لا في قدرته ولا في إرادته ولا في علمه ولا في غير ذلك، فلو وجد من يشبهه في صفاته لكان إلهًا أيضًا، وتعدد الآلهة مستحيل عقلًا كما سبق.

لقد أعطى اللّٰه عز وجل الإنسان صفات كمال؛ كالحياة والعلم والقدرة والإرادة وغيرها، وكلُّ كمال فيه فمن خالقه؛ ولهذا فهو سبحانه أَولى أن يتصف بهذه الكمالات؛ لأنه هو الذي أعطاها.

وهذا يشبه ما يتفق عليه الناس:

إذا كان الطالب عالمًا فمُعلِّمه العِلمَ لا بد أن يكونَ عالِمًا؛ لأنه الذي أعطاه هذا العلم، ومَن يعطي المال لا بد أن يكون معه مالٌ كي يعطيه، ومَن يعطي طعامًا لا بد أن يكون معه هذا الطعام كي يعطيه، وللّٰه المَثَلُ الأعلى.

ورغم أنه سبحانه وتعالى أعطى بعض مخلوقاته صفات كمال؛ إلا أنها ليست كاملة فيها، فعلم الإنسان ناقص، حيث يصاب

بالخطأ والنسيان، ومهما بلغ من العلم يبقى علمه محدودًا، وكذلك يقال في قدرته وإرادته وغيرها من الصفات، هي صفات كمال، لكنها ليست كاملة فيه وإنما فيها نقص من وجوه.

بخلاف صفات الله عز وجل فإنها كاملة من كل وجه، ولا يلحقها نقص بحال؛ فالثابتُ له سبحانه من الصفات لا بدَّ أن يكون على أكمل وجه، بحيث لا يكونُ كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابتٌ لله تعالى، يستحقُّه بنَفْسِه المقدَّسة العليَّة.

وثبوت صفات الكمال لله مستلزمٌ نفيَ نقيضِها؛ فثبوت الحياة له جلَّ وعلا يستلزم نفيَ الموت، وثبوت العلم يستلزم نفيَ الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفيَ العجز، وهكذا في الوحدانية والإرادة والقِدَم والبقاء والسمع والبصر والكلام، وغيرها من الصفات.

فالله متفرد بصفاته لا يشبهه فيها أحد، وكل اسم من أسمائه عز وجل يشير إلى إحدى صفاته، ولهذا كانت له الأسماء الحسنى والصفات العلا التي لا يشاركه فيها أحد.

يقول تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (الشورى:١١).

إنَّ أفعالَ اللهِ في هذا الكون الشاسع، وخَلْقه في أحسنِ خِلقة، وأبدعِ نظام، وأجملِ منظَر؛ دليلٌ واضحٌ على كمالِ الله، وكمال عِلمِه، وقدرته وإرادته وحكمته؛ خَلَق وأتقن، ونظَّم وأبدع، ولو لم يكُنِ الخالقُ متصفًا بالكمال، لوجدنا الخلَلَ؛ إما في جميع الكون، أو في بعض أجزاء الكون، وهذا لم يحدُثْ قط، بل الواقعُ خلافه.

هذه الحدود التي يمكن أن نصل إليها بتفكيرنا، أما إدراك كيفية صفات الله تعالى وأفعاله، فهذا ما لا قدرة لنا على الارتقاء إلى معرفته؛ لأن إدراك حقيقة الكيفية يتطلب إدراك حقيقة الله تعالى؛ والإنسان عاجز عن ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ (طه: ١١٠)، فلا يمكن عقلًا لمخلوق أن يحيط بخالقه.

أسعدني ما وصلتُ إليه، وبث ذلك في قلبي شعورًا فريدًا لم أعهده، وشعرت براحة في نفسي بدأت تغير حياتي باتجاه الأفضل.

خلاصة

يتصف الله تعالى بالكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ولا يشاركه في ذلك أحد، وهو منزه عن كل نقص وعيب، والأدلة تثبت ذلك بما لا يدع مجالًا للشك.

التقويم

١ من الذي أوجد الإنسان؟ وما هي الوظيفة التي وُجد من أجلها؟

٢ علِّل ما يلي:

وجود كون فسيح بما فيه من مخلوقات وفق نظام غير مختل:

استحالة وجود إلهين:

٣ اذكر دليلًا من القرآن الكريم على استحالة أن يطيع الناس أكثر من إله .

٤ اشرح معنى قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ (الشورى:١١)

المحور الثاني

البحث عن الدين الحق

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يتعرف على بعض الديانات ويتبين الانحرافات فيها.
- يكتشف أدلة زيفها وفسادها.
- يعرف أسباب اختيار الإسلام دون غيره.

اختبار الأديان

لقد توصلت بعقلي إلى وجود خالق للكون لا شريك له، وعرفت بعقلي بعض صفاته التي أرى آثارها في الكون، ولكن

كيف سأعرف بعقلي من هو خالقي؟

كيف سأعرف ماذا يحب لأفعله وأرضيه؟

وكيف سأعرف ماذا يبغض لأتركه ولا أغضبه؟

وصلتُ لقناعة بأن الاستمرار في البحث العقلي المجرد ليس سليمًا، ولن يوصلني لأجوبة هذه الأسئلة، وأدركت بعقلي -مرة أخرى- أن البشر بحاجة لدين من عند الله يبين لهم ماذا يريد منهم.

لكن السؤال هو: كيف لي أن أعرف أي دين من الأديان الكثيرة المنتشرة في الأرض هو الدين الحق؟

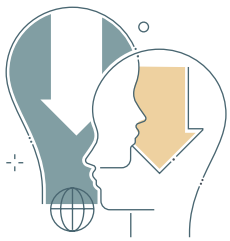

ستلاحظ من خلال الأفكار المبسطة عن الأديان التي تخالف نهج الإسلام الصحيح، انحدارًا بالعقل البشري يستحق الإشفاق والحزن على صاحبه.

قلتُ في نفسي:

لا بد من وضع معايير، إذا انطبقت على أي دين فهو دينٌ حقٌّ، وهذه المعايير هي ما سبق أن توصلتُ إليه بالبحث العقلي؛ **أي أن يكون هذا الدين يدعو إلى عبادة إله واحد، كامل في ذاته وصفاته وأفعاله، وألا يكون في هذا الدين ما يتناقض مع صفات الكمال الواجبة لهذا الإله.**

رحت أبحث في الأديان عن إجابة عدد من الأسئلة:

- **من هو الخالق وما هو وصفه في هذا الدين؟**
- **هل هذا الدين يحض على التفكر وإعمال العقل؟**
- **هل هو دين عالمي أم خاص بقوم أو جماعة؟**
- **هل تعاليمه للتزكية وإقامة حياة فاضلة، أم هي مجرد فلسفة، أم هي معيقة للحياة؟**

طفتُ بهذه الأسئلة بين أشهر الأديان الموجودة اليوم؛ وبطبيعة الحال، كان من السهل علي أن أستبعد الأديان التي تدعو إلى عبادة آلهة متعددة، أو تدعو إلى عبادة إله ناقص، كبشر أو حجر أو حيوان!

البوذية

كانت بداية بحثي مع البوذية، وهي فلسفة وضعها مؤسسها سدهارتا جوثاما الملقب ببوذا (٥٦٠ - ٤٨٠ ق.م)، ثم أخذت طابعًا دينيًّا، وأول ظهورها كان في الهند بعد الديانة الهندوسية، وتُعدُّ مناهضة لها.

البوذية رابع أكبر ديانة في العالم من حيث عدد أتباعها بعد النصرانية والإسلام والهندوسية، وتنتشر في شمال الهند والتيبت وسريلانكا وبورما ولاوس، والصين، ومنغوليا، وكوريا، وتايوان والنيبال وفيتنام واليابان.

جرَّدت الديانة البوذية الكون من مفهوم الخالق الأزلي، ولا اعتراض فيها على فكرة وجود آلهة متعددة، وهذه الآلهة ليس لها يدٌ في خلق الكون، ولا يمكن لها أن تتحكم في مصير الكائنات الحية.

يطلق في البوذية لفظ «كارما» على الأفعال التي يقوم بها الكائن الحي من خير أو شر، والعواقب الأخلاقية الناتجة عنها، والتي تحدد جزاءه إما الثواب وإما العِقاب، لكن هذا يكون غالبًا بعد الموت، فيتحتم على الكائن الحي العودة للحياة مرة أخرى لينال الجزاء الذي يستحقه، وقد تكون هذه العودة بأن يتقمص الكائن الحي شكل إنسان، أو حيوان، أو شبح أو حتى إحدى شخصيات الآلهة.

الهدف الأسمى حسب البوذية هو التحرر التام؛ عبر كَسر دورة الحياة والعودة للحياة بعد الموت، والتخلص من الآلام والمعاناة، وبما أن الكارما هي عواقب الأفعال، فلا خلاص للكائن ما دامت الكارما موجودة، ويتم التخلص منها بالوصول لحالة الاستنارة.

ورغم أن تعاليم البوذية تحاول تقليل معاناة الإنسان بالتخفف من التعلق بالدنيا، لكنها لا تقلل من هذه المعاناة؛ وذلك لفساد الأصل فيها، وهو فساد التصور عن الإله.

لقد رأيت في البوذية كهنوتًا وشركًا يضاد العقل؛ فعندما يعتنق شخص ما البوذية عليه أن يعلن بصريح العبارة أمام جمع من الرهبان البوذيين وفق مراسم وطقوس خاصة، أنه يلتمس لنفسه الملاذ ويتعوذ ببوذا وغيره.

لـم أشـعر بالاقتنـاع العقلـي ولا الاطمئنـان النفسـي للبوذيـة، لا فـي تعاليـم رهبانهـا، ولا فـي شـكلها التجـاري المنتشـر غربيًّا (التأمل/اليوجا/ الطاقـة)، حيـث حولتهـا الماديـة الرأسـمالية لتعاليـم معلبـة ومصنعـة لأجـل الكسـب المـادي؛ فـكل ذلـك مجـرد تخيـلات وتصـورات فلسـفية بعيـدة عـن الحقيقـة، ولا يمكـن أن يثبـت أتبـاع البوذيـة ولـو شـيئًا يسـيرًا مـن معتقداتهـم وَفـق قوانيـن العقـل.

فكر وناقش

- **هل تتوافق الرؤية البوذية مع ما أوجبه العقل السليم من صفات الكمال للخالق؟**
- **هل تعتقد أن عقائد البوذية تشير إلى استمرار الوجود وعبثيته؟ علل رأيك.**
- **ما رأيك في التصور البوذي عن الإله؟**

الهندوسية

بعد البوذية انتقلت لديانة قديمة أخرى هي الهندوسية، **وهي مجموعة من العقائد والعادات والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة، من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى زماننا**، ولا يُعرف مؤسس الديانة الهندوسية، وإن كان «الآريُّون» الغزاة للهند يُعَدُّون من المؤسسين الأوائل لها، وهي الديانة السائدة في الهند ونيبال في وقتنا الحاضر، وبحسب عدد أتباعها فإنها تعد ثالث أكبر ديانة بعد النصرانية والإسلام.

تترك الهندوسية معتنقَها في حيرة، ولا تُقدِّم له الأجوبة الكافية عن الإيمان بالخالق، وتتركه يبحث ويكتشف إجاباته الخاصة عن ماهية الحياة ليبنيها وفق رؤيته، فينعدم نتيجة ذلك معنى الحقيقة ومفهومها.

فترنيمة ناساديا سوكتا – وتسمى ترنيمة الخلق – من الريجفدا تقول:

«من يعرف حقيقةً؟ مَن هنا يستطيع ادعاء المعرفة؟ كيف بدأ الكون؟ كيف خُلِق؟ لقد جاءت الآلهة بعد ذلك مع خلَق الكون».

مَن إذن يعرف مِن أين نشأ كل ذلك؟!

تنتشر الهندوسية في الهند ونيبال.

مفهوم الرب أو الإله في الهندوسية معقد غير واضح، وتغير عبر الزمن كثيرًا، فهو ينتقل من التوحيد إلى التثليث إلى تعدد الآلهة، إلى وحدة الوجود، إلى عبادة البقر والأصنام، إلى مفاهيم أخرى.

والهندوسية ديانة عنصرية؛ حيث تقسم المجتمع إلى طبقات أربع؛ أدناها المنبوذون، وهؤلاء يكونون بسبب هذا التقسيم أشقى الخلق؛ فليست لهم عدالة اجتماعية ولا حقوق بشرية، فهم وَفق هذا التقسيم والقانون أحط من البهائم، وتعتبر هذه الطبقة نجسة لدرجة أنها لا تُمَسُّ.

ولا أظن أنَّ باحثًا عن الحقيقة يمكن أن يقبل بمثل هذه الديانة!

فكر وناقش

- بالعودة إلى الأسئلة الوجودية؛ هل ترى أن الهندوسية يمكن أن تجيب على تلك الأسئلة إجابات يقبلها العقل؟
- هل يصح لعاقل، أن يؤمن بدين يشكله الرجال وفق تصوراتهم وآرائهم ومصالحهم؟
- هل يمكن لهذه الديانة أن تكون عالمية؟
- هل يمكن أن تقِيم مجتمعًا فاضلًا؟

النصرانية

كان من السهل عليَّ أن أستبعد الهندوسية والبوذية سريعًا؛ لكنني توقفت بعض الوقت أمام النصرانية، فهي الدين الأول على مستوى العالم من حيث المنتسبين إليه -ولو بالاسم- وكثيرٌ من أتباع هذا الدين يقولون إنهم يعبدون إلهًا واحدًا، والنصرانية في الأصل ديانة سماوية، حيث أرسل الله عز وجل عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل، وأوحى إليه الإنجيل مصدِّقًا لما في التوراة من تعاليم، فرسالته مكمِّلة لرسالة موسى عليه السلام.

تدعو النصرانيَّة إلى الفضيلة والتسامح، ولعل هذا ما يجذب كثيرين إليها. وخلال بحثي وجدت في العقيدة النصرانية الحاليَّة أن الله واحد من حيث الجوهر والطبيعة، والإرادة والمشيئة، والقدرة والفعل، لكنه مكون من ثلاثة أقانيم متحدة في نفس الجوهر الذي يتساوى به منذ الأزل وإلى الأبد؛ من حيث إعلانه عن نفسه ومن حيث أعماله، ولا يمكن قبول أحد الأقانيم منفردًا، بل يجب التسليم بها جميعًا!! وهو ما يسمى عندهم بالثالوث المقدس؛ ومن هنا تقع النصرانيَّة في مشكلة تعدد الآلهة.

يقول النصارى إنهم يعبدون إلهًا واحدًا، إلا أن اعتقادهم في الإله وأنَّه ثلاثة أقانيم يناقض قولهم، والجمع بين التثليث والقول بالوحدانية جمع بين النقيضين، وهذا يخالف العقل لاستحالته.

ومن جهة أخرى فإنَّ النصارى يعبدون إلهًا ناقصًا؛ إلهًا بقي في بطن امرأة تسعة أشهر، ثم خرج لا يعلم شيئًا ولا يقدر على شيء، بل يحتاج لمن يطعمه ويسقيه، ثم تنتهي حياته ويموت.

ليس هذا فحسب بل يموت بأشنع ميتة!

إلهًا يغلبه أعداؤه؛ فيصلبونه، ويدقون المسامير في يديه ورجليه، ويشدون رأسه بالأشواك، ويبصقون عليه! فأي إله هذا؟!

هذا من حيث العقيدة، أما من حيث إصلاح الحياة، **فيقتصر الدين النصراني اليوم على بعض العبادات والمواعظ، في حين أن كل شخص يعيش حياته على هواه، ومن يرتكب خطيئة فالمسيح دفع ثمن تحرير أتباعه من الخطيئة وعواقبها؛ فصلبه وموته كان مقابل حياتهم**، وستكون الشوارع السماوية مليئة بالمعتقين الذين حصلوا على الغفران والتحرير، وذلك ليس بسبب استحقاقهم، فقد كان الناس عبيدًا للخطيئة، محكوم عليهم بالانفصال الأبدي عن اللّه، ولكن لأنَّ المسيح دفع ثمن فداء أتباعه، وحررهم ونجاهم من عواقب الخطيئة الأبدية!

خلصتُ في نهاية المطاف إلى أنَّ العقيدة النصرانية لا توافق العقل الذي تعهدتُ في بداية رحلتي أن أكون مخلصًا له!

تفكر

كيف للإله أن يموت؟ ولماذا لا يخلص أتباعه دون أن يموت؟ وكيف يبقى الثالوث المقدس ثالوثًا بعد أن فقد أحد أقانيمه المتلازمة التي لا تنفصل؟ وقبل ذلك كله؛ كيف للمسيح عليه السلام أن يكون إلهًا وهو محدود بالزمان والمكان والقدرات؟ وكيف للثلاثة أن يكونوا واحدًا؟ والواحد كيف يكون ثلاثة؟

لاحظ

نظرًا لصعوبة تصور التثليث، وصعوبة الجمع بين التوحيد والتثليث، فإن الكُتَّاب النصارى الذين كتبوا عن اللاهوت حاولوا تأجيل النظر العقلي في هذه القضية التي يرفضها العقل ابتداء، ومن ذلك ما كتبه القس بوطر في رسالة «الأصول والفروع» حيث يقول: قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا، ونرجو أن نفهمه فهمًا أكثر جلاء في المستقبل، حين يكشف لنا الحجاب عن كل ما في السماوات وما في الأرض، وأما في الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كفاية.

خلاصة

مع أن النصرانية ديانة عالمية، إلا أنها تصطدم في أصولها بالحقائق العقلية، فكثيرة هي القضايا التي تعد غير مفهومة، بل لا يُسمح بالتفكير فيها، وعلى رأسها وصف الرب الإله، ذلك الوصف الذي لا يقبله العقل، هذا فضلاً عن قضية الغفران والفداء، ونجاة المؤمنين بهذا الدين دون أي حساب أو عقاب، مهما كثرت الذنوب والخطايا.

فكر وناقش

- ادعى النصارى أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة ، فأي عدل وأي رحمة في تَعذيب غير مذنب و صلبه ؟
- إذا كان المسيح ابن الله ، فأين كانت عاطفة الأبوة وأين كانت الرحمة حينما كان الابن الوحيد يلاقي دون ذنب ألوان التعذيب: الصلب مع دق المسامير في يديه ؟
- هل كان نزول ابن الله وصلبه للتكفير عن خطيئة البشر ضروريًا ، أم كانت هناك وسائل أخرى من الممكن أن يغفر الله بها خطيئة البشر ؟

اليهودية

حين استبعدت النصرانية، لم يبقَ أمامي سوى اليهوديَّة والإسلام!

بدأتُ باليهوديَّة؛ لأن آخر ما كان يخطر ببالي، أن يكون الإسلام هو دين الحق!

اليهودية في أصلها ديانة سماوية توحيدية، كتابها التوراة ونبيها موسى عليه السلام؛ لكنها حُرّفت وتغيرت عبر الزمن.

يتجمع اليهود اليوم في الكيان المغتصِب لفلسطين «إسرائيل»، وفيه حوالي ٤٣٪ من يهود العالم، بينما يوجد ٤٣٪ آخرون في الولايات المتحدة وكندا، ويعيش أغلب الباقين في أوروبا، وهناك مجموعات منهم في أمريكا اللاتينية وآسيا وإفريقية وأستراليا.

في العقيدة اليهوديَّة الحالية صور مختلفة للإله. فتارة بجمع كل شيء في ذاته؛ فهو البداية والنهاية، وهو الشامل الكامل الذي منه وبه وله جميع الأشياء، الخالق الواحد الجامع، الرحيم العليم، الذي ليس غيره إله.

وتارة يظهر كالطرف الأضعف في العلاقة بالحاخامات!

ورغم أن اليهود يعبدون إلهًا واحدًا

إلا أنَّ كتابهم يصف هذا الإله بالنقص في عدة مواضع: فمرة يحتاج إلى أن يرتاح بعد أن خلق السماوات والأرض! ومرة يبكي من الحزن! ومرة يصارعه واحد من خلقه فيغلبه! إلى غير ذلك من المعتقدات!!

يعتقد اليهود أنهم شعب الله المختار، ويدخل في ذلك بعض الاعتقادات الحلولية؛ وتعني حلول الإله بجسد البشر، ولهذا يعتقدون أن أرواح اليهود جزء من الله تعالى؛ فإذا ضرب غير اليهودي يهوديًّا فكأنما ضرب الذات الإلهية!

ويرون أن الفرق بين الإنسان والحيوان، هو بمقدار الفرق بين اليهودي وغير اليهودي!!

يؤمن اليهود أن السبيل إلى الخلاص والنجاة في الحياة الأخرى لا يكون بالعقيدة وإنما بالأفعال، أي أن الأفعال الصالحة هي التي تمكن البشر من النجاة وليس العقيدة التي يتبعونها.

واليهودية ديانة منغلقة على نفسها، ومقتصرة على شعب خاص، ولا يُسْمَح لغير اليهود بالدخول في ديانتهم إلا بصعوبة بالغة.

لم يقبل عقلي وصف الخالق بالنقائص الموجودة في العقيدة اليهوديَّة، ولم تقبل فطرتي فكرة العنصرية وتمييز شعب بعينه عن بقية البشر، ولا أظن أن عاقلًا منصفًا يقبلها.

فكر وناقش

- كيف يمكن للإله أن يكون ضعيفًا؟
- إذا كانت القدرات العقلية والفطرية للناس جميعًا متشابهة، وإذا كان الخالق واحدًا، فلماذا يفضل قومًا أو أمة على بقية الناس بالمفهوم اليهودي للتفضيل؟
- لماذا يُمنع الناس من الانتساب إلى ديانة إن كانت هي الحق والصواب؟

خلاصة

تعد اليهودية وفق نظر أتباعها دينًا موجهًا لجماعة وقوم بعينهم، وهي ديانة عنصرية، تجيز لأتباعها الاعتداء على الآخرين بلا مبرر، وليس مسموحًا للمتدين أن يُعمِل العقل والتفكير في العقيدة، وكل هذا يخالف العقل والفطرة. كما أن الشريعة اليهودية الحالية لا تحقق مفهوم تزكية النفس، بل على العكس تمامًا؛ فهي تصنع الشخص العدواني، الذي غايته التسلط على الآخرين وعلى أموالهم، ومهما كانت الوسيلة فهي مبررة.

قلتُ لنفسي:

حتى لو خلت اليهوديَّة الحالية من التحريف فإنها ديانة مغلقة على بني إسرائيل، فهي خاصةٌ بهم ولا يدعون إليها، فكيف تكون اليهوديَّة دين الحق الذي أبحث عنه لأعتنقه؟ رغم بداهة السؤال ورغم وضوح الجواب، إلا أنني شعرتُ أنني في مأزق.

ذلك أنَّه لم يبقَ غير الإسلام!

أين هو الحق؟

كنتُ شبه متأكد أنه ليس هو، إلا أنَّه لم يبقَ غيره!

شعرتُ بقلقٍ شديد، إذ بدا لي أنَّ كل ما توصلتُ إليه يوشك أن ينهار.

هل يُعْقَلُ أن أكون مخطئًا فيما توصلتُ إليه؟

أعدتُ استرجاع مراحل الرحلة..

لا، لا، كل شيء يبدو سليمًا، فما العمل الآن؟

جاءني الجواب من داخلي: ماذا تقصد «ما العمل الآن»؟

الأمر واضح، اعرض الإسلام على عقلك؛ مم تخاف؟

قلتُ: صحيح! الأمر واضح بالفعل.

اللقاء الأول بالقرآن

أخذت قراري واقتنيت مصحفًا.

وعندما عدت للبيت ووضعته أمامي بقيت مترددًا بعض الوقت، فقد راحت الهواجس تعبث بفكري وقلبي.

مددت يدي أخيرًا إلى المصحف وفتحتُه، وكان أول ما قابلني فيه سورة الفاتحة:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾

(الفاتحة: ١ – ٧)

كانت البداية مفاجئة لي، فقد كنتُ أظنه دينًا وثنيًّا!

لكنني وجدت في فاتحته توحيدًا بذكر إله واحد؛ «الله».

وتوحيدًا في التوجه بالعبادة له وحده؛ «إياك نعبد» «إياك نستعين».

وتوحيدًا في دعائه؛ «اهدنا الصراط المستقيم».

ووجدت فيها تعظيمًا للخالق، ووصفه بصفات كمال؛ «الربوبية»، «الرحمة»، «الملك»، الإعانة»، «الهداية».

انتقلتُ سريعًا إلى الصفحة الثانية، وهنا كانت المفاجأة المذهلة.

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ﴾ (البقرة: ١، ٢)

قلتُ في نفسي: ماذا! ماذا تقول هذه الكلمات؟

ذلك الكتاب لا ريب!

إنني أبحث عن الحق الذي لا شك فيه، وأبحث عن الحقيقة التي لا لبس فيها، وهذا الكتاب يبدأ الكلام وكأنه يكلمني ويقول لي إنه هو الكتاب الذي لا شك فيه!

انتقلت لتتمة الآية: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ (البقرة: ٢)

يا للعجب!

إنني أبحث عما يدلني على خالقي ويوصلني إليه لأعرف مراده مني؛ لأفعل ما يحب وأترك ما يكره، وهذا الكتاب بعد أن أكد لي أنه لا شك في صحته، يقول لي: إن الهداية فيه!

لا أكاد أصدق!

أيعقل هذا؟

أيعقل أن أكون قد وصلت أخيرًا إلى ما أبحث عنه؟

أيعقل أن يكون هو الإسلام؟

فكر وناقش

- لماذا يدعو القرآن في كثير من آياته إلى إثبات الحجج وتقديم البراهين؟
- ما وجه التحدي للبشر حين يبين الله أن هذا القرآن لا خطأ ولا شك فيه؟

.....

.....

.....

.....

لتتعرف على القرآن الكريم ، ارجع إلى كتاب «**أنت تسأل والقرآن يجيب**» من هذه السلسلة، واطلع على لمحة تعريفية بالقرآن الكريم .

ثم آمنت!

الرحلة مع القرآن الكريم كانت ممتعة حقًّا؛ فكلما تقدمت في القراءة وجدت صدى ما بدأتني به سورة البقرة: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢).

وإن من أعظم الأسباب التي دعتني لاحقًا للإيمان بهذا الكتاب -بالإضافة إلى أنه يدعو لعبادة إله واحد، كامل في صفاته- أنه كتاب كامل، لا تناقض فيه أبدًا، وأن كل ما فيه موافق للعقل السليم، بل إنه يدعو في العديد من آياته إلى التعقل والتفكر والتبصر:

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (الأنعام: ٣٢)

﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (الأنعام: ٥٠)

﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ (القصص: ٧٢)

ومن الأسباب التي دعتني للإيمان به كذلك أنه يجيب عن الأسئلة الوجودية كما مضى فيما سبق.

ومنها أنه خطاب لكل البشر، على اختلاف ألوانهم وأعراقهم وقومياتهم، فهو يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ (سورة الفاتحة: ٢)، وليس رب المسلمين فحسب، ويقول: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨).

ويقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (سورة سبأ: ٢٨).

ومن هذه الأسباب أيضًا، أنَّ القارئ للقرآن الكريم يجد أنه يخبره عن مكنونات نفسه، وعما فيها من صراع بين الخير والشر، والحق والباطل، وعن ضعفها وعجزها وعجلتها وشُحِّها، وغير ذلك، فيشعر القارئ في نهاية المطاف أن هذا القرآن منزل من خالقه الذي يعلم حقيقته حق المعرفة، كما قال تعالى:

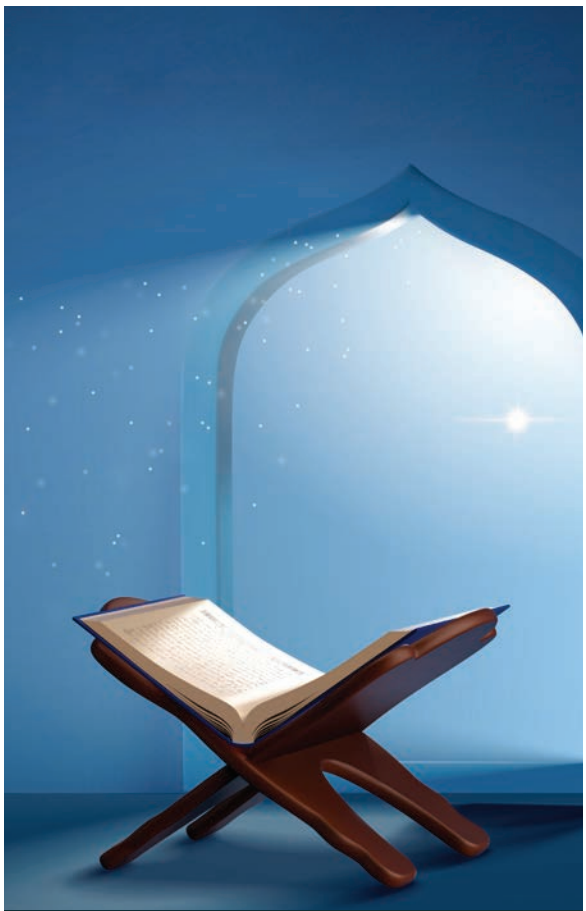

القرآن الكريم: هو كلام الله المُعجِز المنزل على قلب النبي ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر جيلًا عن جيل، والذي يبدأ بسورة الفاتحة، وينتهي بسورة الناس.

﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾

(الملك: ١٣-١٤).

والآيات في ذلك كثيرة:

- ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ (النساء: ٢٨)
- ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ (الإسراء: ١١)
- ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ (يونس: ١٢)
- ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾

(الإسراء: ١٠٠).

وأدلة صدق القرآن وأنه من عند الله لا تنتهي عند هذا الحد.

فنحن نجد فيه:

- **الطرح العقلي المتسق** مع العقول السليمة والذي مرت أمثلته مرارًا.
- **والطرح العلمي الذي لا يتعارض** مع القوانين والحقائق العلمية المؤكدة.
- **والشريعة السمحة** التي لها خصوصيتها وتميزها عن كل الشرائع.
- **واللغة والفصاحة والبيان.**
- **والإخبار بالأمور التاريخية**، والمُغَيَّبات المستقبلية التي لم تكن معروفة زمن نزوله.

هـذا فضـلًا عـن الوضـوح، والانطـلاق مـن الفطـرة والأصـول والركائـز الأساسـية، إلـى الغايـات النهائيـة التـي تحقـق للإنسـان الفـوز والفـلاح والصـلاح والسـعادة، بمنهجيـة واضحـة بسـيطة.

ولهـذا كان حقًّـا علـى بعـض مـن سـمعوا القـرآن لأول مـرة أن يقولـوا:

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ (الجن: ١، ٢).

لما وصلت لنهاية رحلتي مع القرآن الكريم كان لا بد لي أن أفتح المصحف من جديد لأقرأ قول الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ (البقرة: ١-٢)

لكنني قرأتها هذه المرة وأنا مؤمن موقن.

قرأتها وليس عندي أدنى شك في صدق القرآن الكريم في كل ما أخبر عنه.

نبي الإسلام خاتم الأنبياء

هذا القرآن الذي أيقنت أنه كلام رب العالمين جاء إلينا عن طريق خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام، حيث بعثه الله إلى العالمين قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة ليعيد البشرية إلى توحيد الله وعبادته بعد أن حرَّفت دين الله وأشركت معه غيره.

وطاعة النبي ﷺ واجبة على كل مسلم لأنَّ الله عز وجل أمر بذلك في كثيرٍ من الآيات الكريمة، منها:

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠﴾ (النساء: ٨٠)

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ (الحشر: ٧)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ۝٣٣﴾ (محمد: ٣٣) ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٥٦﴾

(النور: ٥٦)

فلا بد لكل من أراد النجاة والفوز بالجنة أن يطيعه وأن يتبع ما جاء به، وبهذه الطاعة تكمل شهادة الإنسان التي قالها بلسانه: «وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله»؛ فكما أن هذه الشهادة متلازمة مع شهادة «لا إله إلا الله» فكذلك طاعة النبي ﷺ متلازمة مع طاعة الله عز وجل.

مكانة السنة النبوية

طاعته ﷺ بعد موته تكون باتباع تعاليمه، وقد اهتم المسلمون بدءًا من العهد النبوي بحفظ تعاليمه ﷺ، ثم قاموا بعد ذلك بكتابتها في كتب معلومة مشهورة، وهذه التعاليم هي المعروفة باسم «السُّنَّة النبويَّة» أو «الأحاديث النبويَّة»، وهي تشمل أقوال النبي ﷺ وأفعاله، وأيضًا ما أقرَّه من أقوال وأفعال غيره.

ولحرص المسلمين على التأكد من صحة نسبة السُّنَّة إلى النبي ﷺ؛ فقد أنشؤوا علمًا خاصًّا بالحديث النبوي، شهد له علماء الأمم بأنه منهج دقيق فريد، حيث يضبط كل ما ورد في السنة ويقسمه إلى ما صحَّت نسبته للنبي عليه الصلاة والسلام، وما لم تصح.

أركان الإيمان

الإيمان بالله هو أصل الإيمان في الإسلام وركنه الركين، ثم تأتي بعد ذلك مجموعة من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان الإنسان حتى يؤمن بها، قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾

(النساء: ١٣٦).

وقال جل وعلا: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢﴾ (الحديد: ٢٢).

وعندما سأل جبريلُ النبيَّ ﷺ عن الإيمان أجاب بقوله: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» (رواه البخاري، ومسلم).

ولأنني آمنت بصدق القرآن وأنه منزل من رب العالمين، فقد آمنت بهذه الأركان كلِّها، لكنني تساءلت: هل يوجد دليل عقلي على الإيمان بها؟

كحال كل الأمور الغيبية، فإن أركان الإيمان لا يمكن الاستدلال عليها بأدلة عقليَّة محضة؛ ولكن بالجمع بين أدلة العقل والنقل، فمن جهة العقل؛ فإن وجود الملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر والقدَر، أمر ممكن وليس مستحيلًا عقلًا؛ فإذا أخبرنا سبحانه بوجودها فإن قوله صدق وحق، وهذا يعد دليلًا صحيحًا على وجودها لا يمكن رده؛ **لأن الخبر الصادق الموثوق مصدر رئيس من مصادر المعرفة عند البشر عمومًا.**

فكر وناقش

- هل يوجد في الديانات الأخرى توثيق منضبط لكل ما يرتبط بالدين كما هو في الإسلام؟
- لماذا لا يمكن الاستدلال على أركان الإيمان بأدلة عقلية فقط؟

- الملائكة خلق من خلق الله، لا يعلم عددهم إلا هو سبحانه وتعالى؛ خلقهم من نور، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. ومن وظائفهم: تبليغ الوحي، وقبض الأرواح، والنفخ في الصور، وحمل العرش، وحفظ الأعمال، والاستغفار للمؤمنين، وغيرها.
- الكتب السماوية هي الكتب التي أنزلها الله على بعض رسله؛ رحمة بالخلق، وهداية لهم؛ ليصلوا إلى سعادة الدنيا والآخرة، فنؤمن بالكتب التي أخبرنا الله بأسمائها على وجه التفصيل، وأما ما لم نعلم أسماءها فنؤمن بها إجمالًا.
- أما الرسل فهم بشرٌ اختارهم الله ليخبروا الناس بالغاية من خلقهم، وليبلغوهم رسالات ربهم التي بها صلاح دنياهم وآخرتهم، وليكونوا قدوات لهم في تعاملهم مع الخالق وخلقه؛ فنؤمن بمن أخبرنا الله بأسمائهم بالتفصيل، ومن لم يخبرنا بأسمائهم فنؤمن بهم إجمالًا.
- اليوم الآخر، هو اليوم الذي يبعث الله فيه الخلق للحساب والجزاء؛ وسُمِّي بذلك لأنه لا يوم بعده؛ حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.
- أما الإيمان بالقدر فهو الإيمان بأن الله يعلم ما كان، وما سيكون، وأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لن يكون، وأن الله كتب مقادير الخلائق؛ فلا يقع شيء إلا بعلمه ومشيئته، فما أصاب مخلوقًا لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

الرد على شبهة حول القدر

هل وجود القدر يعني أن الإنسان مجبرٌ على أفعاله؟

وإذا كان مجبرًا فكيف يُعاقَب الكافر على كفره والعاصي على عصيانه؟

ألا يكون هذا ظلمًا؟

قرأتُ كثيرًا في هذه النقطة، وكانت خلاصة ما قرأت بسيطة رغم تعقيد الموضوع!

إن أي إنسان يعلم علم اليقين أنه عندما يكون أمامه طعامان فيأكل أحدهما دون الآخر، فهو فعل ذلك باختياره.

يعلم أنه عندما يخرج من بيته فيمشي للسوق القريب بدل أن يركب، فهو فعل ذلك باختياره.

يعلم أنه عندما يسافر في رحلة إلى وجهة معينة دون غيرها، فهو فعل ذلك باختياره.

كل إنسان يعلم ذلك من نفسِه جيِّدًا، ويعلم أنه كان يستطيع اختيار خيارات أخرى، لكنه لم يفعل بكامل إرادته.

وما دام الأمر كذلك فلا ينبغي أن يشوِّش على هذا اليقين أمر خارج عنه، وهو أن الله عز وجل يعلم ما سيختار الإنسان، وأنه لو لم يرده لما اختاره، فهذان أمران منفصلان تمامًا!

الله علم ذلك وأراده، لأن هذا من لوازم ربوبيته وكماله، وأما الإنسان فقد اختار بملء إرادته، وهذا ما يعلمه كل واحد بيقين.

لقد قدَّر الله تعالى على الإنسان أن يكون بين التسيير والتخيير؛ فما كان مُسيَّرًا فيه فلا حساب عليه، ولا ثواب ولا عقاب؛ فلا يُسأل عن مولده وعن أبيه وأمه وقومه، ولا عن العصر الذي عاش فيه، ولا عن عمل أجهزة جسده، ولا عن تركيبة نفسه مع قلبه وعقله وحواسه وأعضائه، وما أشبه ذلك.

لكنَّه يحاسب على ما خُيِّر فيه؛ عن إيمانه وكفره، عن طاعته لله ومعصيته له، عن صلاحه وفجوره، وعن كل اختياراته.

كانت هذه الخلاصة البسيطة المختصرة مقنعة لي جِدًّا.

فكر وناقش

- **كيف ترد على من يقول إن الإنسان مجبر على أفعاله ولا يحاسب عليها؟**
- **اضرب أمثلة لمَفهومَي التسيير والتخيير.**

البحث عن الإسلام الصافي

لقد أيقنت أن الإسلام بعقيدته الواضحة البسيطة هو الدِّين الحق، وشعرت أنني بحاجة كبيرة للانتماء لمجتمع المسلمين؛ لأتعلم المزيد عن الإسلام، ولأستعين بهم على الثبات على الدين، ولأتعاون معهم على البر والتقوى كما أمر الله، ولأحقق كثيرًا من الأوامر الربانيَّة التي هي عبادات جماعية؛ كالصلوات الخمس، وصلاة الجمعة والعيدين، والحج، وغير ذلك. لكنني فوجئت بوجود العديد من الطوائف التي تنتسب إلى الإسلام، فوقفتُ محتارًا، إلى أيها أنتمي!

ومرة أخرى وجدت نفسي بحاجة إلى رحلة بحث عن الحق؛ لكنها هذه المرة داخل الفِرَق المنتمية للإسلام!

وكما كنتُ مخلصًا لعقلي في رحلتي الأولى، عزمتُ أن أكون مخلصًا له في رحلتي الثانية، وقد وضعت معيارًا لمعرفة المذهب الحقِّ الذي ينبغي علي اتباعه والانتماء إليه، وهو أن يكون يدعو إلى ما دعا إليه النبي ﷺ ويسير على طريقته، وأن يكون يدعو إلى نفس التعاليم والقيم التي عمل بها أصحابه رضي الله عنهم وآمنوا بها وطبقوها على مرأى منه ﷺ وهو حيٌّ بينهم ورضيها منهم.

ولهذا رحت أستعرض عقائد عدد من الفِرَق وأعرضها على هذا المعيار.

القاديانية:

نشأت هذه الفرقة في بنجاب الهند، على يد مؤسسها مرزا غلام أحمد القادياني، الذي ادَّعى أنه مجدِّد وملهَم من الله، ثم ادَّعى أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود، ثم ادَّعى النبوة وزعم أن نبوته أعلى وأرقى من نبوة نبينا محمد ﷺ؛ ومن معتقداتهم:

- **أن الله** يصوم ويصلي وينام ويصحو ويخطئ!

- **وهذا** المعتقد كان كافيًا لأعرف أنَّ هذه الطائفة منحرفة تمامًا، فهذا يناقض الكمال الواجب للخالق جلَّ وعلا. ثم إنَّ لديهم معتقدات أخرى، منها:

- **أن النبوة** لم تختم بمحمد ﷺ بل هي جارية، والله يرسل الرسول حسب الضرورة، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعًا.

- **أنهم** أصحاب دين جديد مستقل وشريعة مستقلة وأن رفاق الغلام كالصحابة.

وغير ذلك.

فهذه الفرقة لا تمت للإسلام بصلة.

القرآنيون:

يقول القرآنيون إنَّ القرآن الكريم قد تكفَّل ببيان جميع جزئيات الدين وأصوله، فهو المرجعيَّة الوحيدة في فهم الإسلام دون غيرها، ولا حجيّة لسائر المرجعيّات الأخرى عند غيرهم من المسلمين وعلى رأسها السنَّة.

سألتُ نفسي:

إذا كان الأمر كذلك، فلِمَ أمر الله عز وجل بطاعة النبي ﷺ في كثير من الآيات؟

لا يصح أن يقولوا: إنَّ هذا في حياته ﷺ فقط، إذ على مذهبهم لا فرق بين حياته ومماته، فالقرآن هو المرجع الوحيد في الحالتين!

ومع ذلك فإنَّ قولهم هذا يعني أنه بعد وفاة النبي ﷺ تعطلت عشرات الآيات، فحتى حجية القرآن الكريم لا تكون بكل آياته!

لم يكن كلام هذه الفرقة مقنعًا أبدًا.

الشيعة:

كثيـرًا مـا كنـتُ أسـمع عـن السـنة والشـيعة، وبالبحـث وجدتُ أنَّ الشـيعة - ويقـال لهـم أيضًـا الإماميـة أو الاثنـي عشـرية- لا يمثلـون أكثـر مـن ١٠٪ مـن المنتميـن للإسـلام، ووجـدت لديهـم تعظيمًـا شـديدًا لآل البيـت -وهـم أقربـاء النبـي ﷺ- لا سـيما نسـل ابـن عمـه علـيٍّ مـن بنـت النبـي فاطمـة ﷺ.

كمـا وجـدتُ أنَّ مـدار مذهبهـم علـى «الإمامـة» التـي يجعلونهـا مـن أصـول الديـن، ويوالـون ويعـادون عليهـا؛ وهـي اعتقـاد أنَّ النبـي ﷺ نـصَّ علـى أن الإمـام بعـد وفاتـه هـو ابـن عمـه علـي بـن أبـي طالـب ﷺ، وأنَّ أصحـاب النبـي ﷺ قـد غصبـوا الخلافـة منـه، ويعتقـدون وجـود اثنـي عشـر إمامًـا مـن آل البيـت؛ كل إمـام ينـصُّ علـى مـن بعـده.

وبالاطـلاع علـى عقائدهـم وجـدتُ مـا يلـي:

- **يعتقـدون** عصمـة الأئمـة عـن الخطـأ والنسـيان، وعـن اقتـراف الكبائـر والصغائـر.
- **يعتقدون** أن الأئمة يعلمون الغيب.
- **يَدْعُـون** عليًّا وباقـي الأئمـة، ويطلبـون منهـم قضـاء الحوائـج.
- **يعتقدون** كفر أكثر أصحاب النبي ﷺ.
- **يعتقـدون** أنَّ الإمـام الثانـي عشـر دخـل سـردابًا قبـل ١٢٠٠ سـنة، وأنـه سـيخرج فـي آخـر الزمـان.

وغير ذلك من المعتقدات الباطلة.

استنتاج

شعرتُ أنَّ هذا المذهب بعيدٌ جدًّا عن تعاليم القرآن!

فكيف تكون الإمامة بهذه المكانة من الدِّين ولا يذكرها القرآن؟!

وكيف يطلبـون الحوائـج مـن الأئمـة، والله عـز وجـلَّ يقـول: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ (الجن: ١٨).

وكيف يعلم الأئمة الغيب، والله يقول للنبي ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ (الأعراف: ١٨٨).

تعجبتُ من وجود عدد كبير من الناس يعتقدون مثل هذه العقائد التي يرفضها العقل.

السنة:

بعد الشيعة وصلتُ إلى السُّنَّة، وهو المذهب الذي يتبعُه أكثر من ٩٠٪ من المنتمين للإسلام، وبالاطلاع على معتقدات هذا المذهب وجدتُ أنَّها تطابق تمامًا كلَّ ما كان يقنعني وأنا أبحث عن الحق بين الأديان، ووجدتُها نفس العقائد التي دعا إليها القرآن بلا زيادة ولا نقصان، فمن عقائد السُّنَّة:

- **أنه لا نبي بعد محمد ﷺ**، والقرآن يقول: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ (الأحزاب: ٤٠).

- **أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب**، والقرآن يقول ذلك كما في آية الأعراف السابقة، فمن باب أَولى ألا يعلم الغيب من هم دونه، سواء من آل البيت أو غيرهم.

- **أنه لا يجوز صرف شيء من العبادة لغير الله**؛ سواء كانت هذه العبادة دعاءً، أو صلاةً، أو توكلًا، أو غير ذلك، وهذا مطابق لدعوة القرآن الكريم للتوحيد الصافي.

- **أنه يجب طاعة النبي ﷺ**، وهذا مطابق للقرآن الكريم في كثير من الآيات.

- **أنَّهم يحبون أصحاب النبي وآل بيته ﷺ** ويتولونهم، والقرآن الكريم أمر بهذا، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ (الحشر: ١٠).

فعلمتُ بهذا أنَّ مذهب السنة، هو المذهب الحق الذي ينبغي علي أن أتبعه وأن أنتمي لأهله، لأن نبعه الصافي هو القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ الصحيحة، دون تحريفات وخرافات.

التقويم

١ رتب المعايير التالية حسب درجة أهميتها -من وجهة نظرك- لاكتشاف الدين الأحق بالاتباع:

العالمية، الرقي الأخلاقي، المصدر الإلهي، التوافق مع العقل السليم، الواقعية، الشمولية، مراعاة الفطرة، السلامة من التحريف، الإجابة على أسئلة الإنسان الكبرى.

٢ علِّل ما يلي:

اتباع أعداد كبيرة من البشر لديانات مثل الهندوسية والبوذية.

استمرار المتعلمين والمثقفين من اليهود والنصارى على ديانتهم.

ازدياد الدخول في الإسلام من أتباع الديانات الأخرى.

٣ ما هي الأركان الأساسية التي تعد أصول الإيمان في العقيدة الإسلامية؟

٤ الإيمان بالله تعالى يعني:

- الشعور النفسي بوجوده سبحانه، وبأسمائه الحسنى وصفاته العُلا، وبأنه الخالق المدبر، والمعبود الحق لا شريك له.
- غلبة ظن الإنسان بوجوده سبحانه، وبأسمائه الحسنى وصفاته العُلا، وبأنه الخالق المدبر، والمعبود الحق لا شريك له.
- التصديق الجازم بوجوده سبحانه، وبأسمائه الحسنى وصفاته العُلا، وبأنه الخالق المدبر والمعبود الحق لا شريك له.

٥ كيف تثبت بطلان عبادة آلهة من دون الله تعالى؟

٦ ما الفرق بين مؤمن باليوم الآخر ومنكر له من حيث التعامل مع الناس والأموال العامة في غياب القانون والرقيب بشكل عام؟

المحور الثالث

أهمية كون الإنسان مسلمًا

أهداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يدرك وظيفة المسلم في هذه الحياة.
- يعرف مفهوم الاستخلاف وعمارة الأرض والدعوة إلى الله والعلاقة بينهما.
- يستنبط المعيار والميزان للقيم الربانية وطريقة المحافظة على الفطرة.
- يدرك دور الإيمان في تحسين الحياة.
- يعرف طريق تحصيل الطمأنينة وأجوبة الأسئلة الوجودية.
- يعرف أجر الإيمان في اليوم الآخر.

معرفة وظيفة الإنسان

بعد إسلامي اكتشفت كثيرًا من محاسن الإسلام التي تجعل الانتماء إليه أمرًا مهمًّا وضروريًّا، بالإضافة بالطبع إلى قوة الأدلة على صحته؛ ومن هذه المحاسن أنَّ الإسلام يُعرِّف الإنسان بوظيفته ودوره في الحياة، فكثيرٌ من الناس يعيشون في ضياع؛ لأنهم لا يعرفون لوجودهم غاية، فتكون حالهم كحال كثير من الكائنات التي لا تعقل؛ أما إذا عرف الإنسان وظيفته الحقيقية التي تنسجم مع ما كرمه الله به عن غيره من الكائنات، من العقل والفهم والسُّمُوّ، فإن حاله ستختلف.

لقد بيَّن القرآن الكريم الغاية من خلق الإنسان ووظيفته في الدنيا:

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ (الذاريات: ٥٦).

فالله تعالى خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه، ولا يشركوا بعبادته شيئًا، والتوحيد هو أعظم أصول الدين، وأفرضها، ولأجله خلق الله الخلق، ولأجله تفرق الناس بين مؤمن وكافر.

وقد جعل سبحانه مستقر بني آدم في الأرض إلى حين، وأمرهم بعمارتها والعمل فيها بما يرضيه جل وعلا:

قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠).

وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ (الأنعام: ١٦٥).

فمن آمن بالله سبحانه وتعالى ووحَّده وعمل صالحًا وسعى في عمارة الأرض وَفق منهج الله، فقد علم وظيفته في هذه الحياة الدنيا وعمل بها. وفي خاتمة المطاف، عندما تنتهي مدة العمل ويحين وقت الحساب يوم القيامة، ستظهر نتائج الاختبار، وسينال كل عامل جزاء عمله؛ قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ (البقرة: ٢٨١)، وقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ (الزلزلة: ٧، ٨).

فأما من أدَّى الوظيفة المكلَّف بها فإنه ينال جزاءه المأمول: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (النحل: ٣٢)

وأما من تشاغل عن وظيفته ولم يهتم بأدائها فينال جزاءه ويندم على ما ضيَّع: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ (الأنعام: ٣١)، ويقال لهم: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ۖ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ (السجدة: ١٤).

الدعوة إلى اللّٰه

لتحقيق الاستخلاف وعمارة الأرض والقيام بواجب العبودية، لا بد من العمل لنشر دين اللّٰه تعالى الذي ارتضاه لعباده، فالمسلم لا يستطيع النظر إلى بقية خلق اللّٰه وهم مبتعدون عن منهج اللّٰه، ثم يمضي كأنَّ الأمر لا يعنيه! بل إنَّه يكون حريصًا أشد الحرص على هدايتهم.

والآيات القرآنية تذكر خيرية من يقوم بالدعوة إلى اللّٰه بأقواله وأفعاله، يقول اللّٰه سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ (فصلت: ٣٣).

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ (يوسف: ١٠٨).

وقد قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طلب رضي الله عنه: «لأن يهدي اللّٰه بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمْر النَّعَم» (رواه البخاري ومسلم).

ضبط معيار القيم في الدنيا:

من محاسن الإسلام التي تجعل اعتناقه من الأهمية بمكان، أنه يضع معيارًا سليمًا للقيم في الدنيا.

إننا لو نظرنا إلى واقع العالم المعاصر اليوم، سنجد تدنيًّا وتراجعًا في الأخلاق والقيم، وانتشارًا لمظاهر التفسخ والانحلال في كثير من المجتمعات، فما كان مرفوضًا قبل وقت ليس بالبعيد؛ كتعاطي المخدرات، والمعاشرة خارج نطاق الزوجيَّة، والشذوذ

الجنسي، وغيرها، أصبح اليوم مطلبًا مشروعًا عند فئات كثيرة في المجتمع الغربي، ولربما أصبح قانونيًّا، بل وصل الأمر إلى أن تعقد بعض الكنائس عقود زواج للشَّواذ وتبارك علاقاتهم الآثمة!

هذا الانحلال الأخلاقي الذي لم تر البشرية مثله قط، حوَّل الإنسان إلى كائن بهيميٍّ، حيث صار كلُّ همِّه الملذات والجنس، وصار يلهث طوال عمره خلف الماديات.

قد يعترض أحدهم فيقول: إنهم سعداء بانحلالهم الأخلاقي هذا!

فيقال له: فلماذا يتصدرون قائمة أعلى الدول في معدلات الاكتئاب والانتحار؟

ولماذا -رغم الحرية الجنسية التي تتمتع بها تلك البلاد- نرى تحرشًا واغتصابًا بمعدلات عالية؟

إن من أهم أسباب هذا التردي، فقد المعيار الحقيقي الذي يضبط الحياة وحركة الناس؛ وهو الدِّين الحق وما فيه من التشريع الذي يوافق فطرة الله التي خلق الناس عليها.

فالمجتمعُ بلا دِينٍ ربانيٍّ يقودُه وينظِّمُه، أشبه ما يكون بغابة؛ لأنَّ هَمَّ الناس فيه لا يتجاوزُ الشَّهَواتِ والمَلَذَّات، فيتنافسون من أجلِ الوصولِ إليها، ولو أدَّى ذلك إلى كوارث لا تحمد عقباها على مستوى الفرد والمجتمع؛ كالاكتئاب، والشعور بالضياع والوحدة، وتفكك الأسر، وارتفاع مستويات الجريمة.

هذا على مستوى الأفراد والمجتمعات، وأما على مستوى الدول، فإننا نرى الصراع على ثروات الأرض للسيطرة عليها واستثمارها، ولو أفضى ذلك للحروب أو لتخريب البيئة؛ فالدُّنيا أكبر همهم، والأمور تقاس بالمنفعة الذاتية والعاجلة، فلا يلتفتون إلى بقية البشر، إلا في حدود ما يحقق لهم النفع في هذه الحياة القصيرة المحدودة.

هذا التصور المحدود الضيِّق هو نفسه الذي جعل الكفَّار قبل الإسلام يسفكون الدماء، وينهبون الأموال، ويقطعون الطريق؛ لأنهم لا يؤمنون بمقتضى التوحيد والبعث والجزاء؛ كما صور الله تعالى حالهم بقوله: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ٢٩﴾ (الأنعام: ٢٩)، وما أشبه الليلة بالبارحة!

فلا حل لإنقاذ البشرية من التردي الأخلاقي والتنافس والتصارع على موارد الدنيا، ومن الحال الذي وصلت إليه، والهاوية التي تسير نحوها، إلا بالإسلام؛ لأنه الوحيد القادر على تغيير الأفراد والمجتمعات تغييرًا جوهريًّا يتوافق مع سنن الكون، ويضمن السلامة من الكوارث، والمصير المؤلم الذي تسير نحوه البشريَّة معصوبة العينين!

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ (طه:١٢٣، ١٢٤).

وقال جل وعلا: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ (النحل: ٩٧).

ولنا في صلاح أصحاب النبي ﷺ وتغيرهم بعد إيمانهم، وتحديهم لشرك أقوامهم وللأعراف والتقاليد الجاهلية، وتركهم الخمر والميسر والربا وكل ما يفسد النفس والمجتمع في فترة قياسية، خير مثال واقعيٍّ على قدرة الإسلام المبهرة على إحداث التغيير الإيجابي.

قد يقول قائل: إن البشرية قادرة مع التطور والتقدم على تصحيح المسار وضبط المعيار.

وهذا من أعجب الأقوال، فالواقع المشاهَد يُكَذِّبُه!

ثمَّ إنَّ القانونَ لا يصلُحُ وحدَه ضابطًا لسلوكِ البشرِ، فالتّحايلُ عليه ممكنٌ في كثيرٍ من الأحيانِ، كما أنَّ سلطانَه على الظّاهرِ ولا يتعدّاه إلى الباطِنِ، وهو يتعلق بالأمورِ العامَّةِ، ولا يتدخَّلُ في الشؤونِ الخاصَّةِ للإنسان، ومهمَّتُه معاقبةُ المُسيءِ، ولا يتعدَّاها إلى مُكافأةِ المُحسِنِ.

فلا بُدَّ للإنسانِ -مع القانون الذي يحكُمُ حياتَه- من قيم وأخلاقيات تتحكم بالآليات والوسائل والطرق والغايات، وتحُلُّ الإشْكالَ بينَ غرائزِه المتضاربَةِ، ومصالِحِه الآنيَّةِ والباقيةِ، وشهواته المباحة، ولا يقوم بهذه الوظيفةِ الصَّعبةِ لتأمينِ السّلامِ والرّخاءِ في المُجتمعاتِ، إلا نظام أخلاقي قِيَمِي مُحكَم، ينطلق تطبيقه من الأفراد أنفسهم، وهذا ما وجدتُ أنَّه يتجلَّى بأبهى صوره في الإسلام.

لقد تقدّمت كثيرٌ من المجتمعات تقدمًا ماديًّا ملحوظًا، ووضعت كثيرًا من القوانين لتنظيم أمورها وضبط سير الحياة فيها، لكنَّنا نرى كثيرًا منها تضع القوانين التي تُعاكس النظرة الورديَّة السابقة؛ فالزنا يُقنَّن، والشذوذ يُقَنَّن، وتناول المخدرات يُقَنَّن، إلى غير ذلك من البلايا.

فكر وناقش

- ما الاختلاف في سلوك الناس بين حالتين: قانون أرضي ينظم حياتهم، ويلزمهم به ويحاسبهم عليه بشر مثلهم؛ وقانون إلهي يلتزمون به عن قناعة داخلية من أنفسهم، أن الخالق يراقبهم وسيجزيهم على عملهم؟
- اذكرْ مثالًا من واقعِ المجتمع يوضّح الأثرَ السيِّئَ للابتعادِ عن الدِّين الحق، واذكرْ مثالًا آخر لأهمية التزامِ الدِّينِ الحق في حياةِ الإنسانِ، مع التعليل.

ارجع إلى كتاب «**فبهداهم اقتده**» من هذه السلسلة، وتعرف فيه على معالم دعوة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام .

أثر الإيمان على النفس

كثيرًا ما كنتُ أُسأل نفسي: ما أثر الإسلام عليك وعلى نظرتك للحياة؟

وهو سؤال مهمٌ جدًّا، والجواب عليه يزيد من أهمية أن يكون الإنسان مسلمًا.

إنَّ للإسلام آثارًا إيجابيةً عديدةً على النفس، وقد لمستُ هذا بنفسي!

إنَّ من أعظم آثار الإسلام على النفس أنه يحرر الإنسان من عبودية كل ما سوى الله عز وجل؛ من عبودية المال، وعبودية المناصب والجاه والسلطان، وعبودية الشهرة، وعبودية المظاهر، وغير ذلك، وهذا يملأ المسلم بشعور الكرامة والعزة الإنسانية.

وكلما ازداد الإنسان لله عبودية ازداد في دنياه عزًّا وكرامة؛ قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (فاطر: ١٠)، وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ (المنافقون: ٨).

وأما من لم يوحِّد الله فإنه يكون عبدًا لأشياء كثيرة؛ وليس بالضرورة أن يعتقد بوجود إله غير الله، فقد يكون ملحدًا لا يؤمن بوجود الخالق، لكنه يكون عبدًا لهواه وشهواته، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ (الفرقان: ٤٣)، وقال النبي ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ» (رواه البخاري).

وليس هذا فحسب، فقد حررني الإسلام فكريًّا ووسع أفقي، ورفعني إلى مستوى إنساني رفيع، تمكنت فيه من تحقيق التوازن بين متطلبات الروح والجسد، والتوازن في علاقتي بالدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ (سورة الجمعة: ٩- ١٠). وأثنى على المؤمنين الذين يقولون: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ (البقرة: ٢٠١).

ومن الآثار العظيمة للإسلام على نفسي، تلك الطمأنينة والراحة النفسية التي امتلأت بها، وهذه لها أسبابها المتعددة:

أولها: أنني وجدت في الإسلام أجوبة أسئلتي الوجودية، وهي الأسئلة التي لا تفتأ تلح على العقلاء تطلب أجوبتها.

ثانيها: أن الإسلام بمنظومته المتكاملة التي تبدأ بالتوحيد، مرورًا بالشرائع والأحكام، وانتهاءً بالأخلاق، يتوافق تمامًا مع فطرتي الأصليَّة.

قال تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ (الروم: ٣٠).

ثالثها: يقيني بأن الأمور في هذه الحياة كلها بيد الله وتجري وفق مشيئته.

إنه لا شيء يسكب الطمأنينة في قلب الإنسان أكثر من أن يؤمن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، كما ورد في الحديث النبوي.

فبإسلامي أيقنت أن كل شيء بيد الله تعالى، وأن مقادير الأمور بيده وحده، يصرفها كيف يشاء سبحانه، ولا أحد يملك نفعًا ولا ضرًّا إلا بإذنه.

وبالإسلام أيقنت أن أمري كله بيد الله سبحانه وتعالى، وما يقدره عز وجل لي كله خير وإن تخيَّلت غير ذلك، يقول الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ (البقرة: ٢١٦).

وما دام هذا الأمر مستقرًّا في قلبي، فسوف أقابل النعم بالشكر، والابتلاء بالصبر، وستكون العاقبة خيرًا كما قال النبي ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرًا له» (أخرجه مسلم).

التقويم

١ اذكرْ مثالًا من واقعِ المجتمع يوضّح الأثرَ السيِّئَ للابتعادِ عن الدِّين الحق، واذكرْ مثالًا آخر لأهمية التزامَ الدِّينِ الحق في حياةِ الإنسانِ، مع التعليل.

٢ اذكر أثرين لكل من:

الإيمان بالله تعالى:

الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان بالقدر:

٣ قال تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ ما دلالة كون الله عزوجل يريد الآخرة؟

٤ يميل الإنسان إلى الإيمان بالله لأن الإيمان:

- يضبط الفكر، ويشكل القيم، ويوجه العمل.
- يضع ميزانًا لمتطلبات الإنسان واحتياجاته.
- يعطي الحياة قيمة ومعنى.
- يعطيه الأمان النفسي.
- جميع ما سبق.

٥ ما دلالة عتاب الله تعالى لبعض المؤمنين في قوله: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِ﴾؟

المحور الرابع

الحرص
على التمسك بالإسلام

أهـداف المحور

في نهاية المحور يتوقع أن يكون القارئ قادرًا على أن:

- يحرص على التوحيد.
- يبتعد كل الابتعاد عن الشعوذة والخرافات.
- يسعى في تحرير نفسه من الهوى والمعاصي.

نهاية الرحلة

لقد أيقنت في نهاية رحلتي للتعرف على الحقيقة، أن الإسلام الصحيح -المتمثل في القرآن الكريم والسنة الصحيحة - دين لا يعدله دين، بل ولا يقترب منه غيره في سموِّه ورُقيِّه، وتعلمت من عقيدته وقِيَمه تزكية النفس والارتباط بالآخرة، مع الأخذ بنصيبي من الدنيا.

ونتيجة لذلك تحققت لي ثمرات في حياتي ما كنت أظن أن تكون لأحد من البشر، فلهذا وجدتني أهتف من أعماق قلبي: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ (الفاتحة: ٢ - ٤).

إنَّ ما وصلت إليه جعلني أمتلئ شعورًا بالاعتزاز بالإسلام والانتماء إليه، وجعلني أحرص كل الحرص على أمور لا بد منها لنيل الهدف المنشود؛ رضا الله عز وجل ودخول الجنة والنجاة من النار.

الحرص على تحقيق التوحيد

التوحيد هو أعظم قيمة يحصل عليها المرء بإسلامه، والتفريط فيه يؤدي إلى دخول النار، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ (المائدة: ٧٢).

وقال النبي ﷺ: «من ماتَ وهو يدعُو من دون اللّه نِدًّا دخلَ النارَ» (أخرجه البخاري).

وعندما أسلمتُ عزمت على المحافظة على هذه القيمة وتحقيقها في حياتي، فلم أجد سبيلًا لذلك أفضل من الاقتداء برسول اللّه ﷺ في إسلامه وإيمانه وإحسانه، وفي أعماله وسلوكه، ليكون ذلك التطبيق العملي لتلاوتي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ (الفاتحة: ٥ - ٧).

لقد كان لزامًا عليَّ أن أعرف كيف تكون ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ (الفاتحة: ٥) في القلب، وكيف تتمثل في الواقع.

وقد ظهر لي هذا بوضوح في قول اللّه تعالى لنبيِّه محمدٍ ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣)، فهكذا كان رسول اللّه ﷺ، وهكذا ينبغي أن أكون؛ فمن معاني التوحيد -بالإضافة إلى توجه الإنسان بالعبادات والسؤال والدعاء والذكر للّه وحده- تحويل الحياة بكل ما فيها إلى ساحة عبادة وتوحيد للّه سبحانه؛ في كل حال ومقال، في كل فكرة وخاطرة وشعور، في كل فعل وترك، مع الإخلاص وجعل ذلك كله طلبًا لرضاه.

فكر وناقش

- هل يكفي النطق باللسان لتحقيق التوحيد والابتعاد عن الشرك؟
- وضِّح كيف يتحقق التوحيد الخالص .

الابتعاد عن الشرك والخرافات

مع زيادة اطلاعي لمعرفة الإسلام أكثر، وجدتُ أن حرصي على التوحيد يلزم منه أن أبتعد كل البعد عن كل عمل يمكن أن يؤدي بي إلى الكفر، ومن ذلك الوقوع في أسر الخرافات والشعوذات!

لقد جاهد الرسول ﷺ طوال حياته ليرشد الناس للحق الواضح، وليُعمِلوا عقولهم ويبتعدوا عن الخرافات والأوهام التي كانت البشرية جمعاء تبني معتقداتها عليها؛ ولم يترك أيّ شكل من تلك المعتقدات والأفكار إلّا وأعلن عليه الحرب، ومما يدل على ذلك أعظم دلالة، حادثة مشهورة، حيث انكسفت الشَّمْس في عهد رسول الله ﷺ، يوم مات ابنه إبراهيم، فقال النَّاس: إِنَّما انكسفت لموت إبراهيم، فقال النَّبي ﷺ: «يا أيُّها النَّاس إنَّما الشَّمس والقمر آيتان من آيات الله، وإنَّهما لا ينكسفان لموت أحد من النَّاس. وفي رواية: لموت أحد، ولا لحياته» (رواه البخاري ومسلم).

لقد كان الناس يعتقدون أن الشمس والقمر ينكسفان لموت العظماء، فظن بعض المسلمين أن الشمس انكسفت لموت إبراهيم، فصحح لهم النبي ﷺ فكرهم، وبيَّن لهم أنَّ هذه خرافة من الخرافات، وقد كان يمكن لغيره من الأدعياء أن يستغل هذه الحادثة ويرسِّخ مكانته بين الناس، ولكن حاشاه! فهو رسول الله حقًّا، ولا يقول إلا صدقًا.

وكذلك فقد حذَّر عليه الصلاة والسلام من الاغتِرار بالمُشعوِذين والدجَّالين والأفَّاكين،

الذين يدَّعون علم الغيب، فقال عليه الصلاة والسلام: «من أتَى كاهنًا أو عرَّافًا فصدَّقَه بما يقولُ؛ فقد كفرَ بما أُنزِل على محمد» (رواه الإمام أحمد).

كما حذّر من تعلق القلب بأي شيء غير الله لدفع الضر أو جلب النفع، فقال: «من علَّق تميمةً فقد أشركَ» (أخرجه الإمام أحمد).

فكر وناقش

- **تعيش الإنسانية عصر الانفجار المعرفي ومع ذلك فإن معظم البشر باقون على ملل تحتوي على كم هائل من الخرافات والشعوذات والشرك بالله أو الكفر به. كيف تفسر ذلك؟**
- **هل تعتقد أن التقدم التكنولوجي والعمراني وزيادة المعارف والمعلومات في العلوم العملية تنقذ الإنسان من الأوهام والخرافات وتكشف له الزيف الذي تتستر به؟ وضح رأيك ودافع عنه.**

التحرر من هوى النفس

حذَّر الإسلام من اتباع الهوى وعدم ضبطه بضوابط الشرع، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُۥا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ (النساء: ١٣٥).

وقال جل وعلا: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ (ص: ٢٦).

وقال عن المشركين: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ (النجم: ٢٣).

وقد وجدتُ هذا التحذير موافقًا للنظر الصحيح والفكر السليم، فكل إنسان لديه هوًى يجعل نفسه تميل إلى أشياء يحبها، وقد يكون هذا الهوى فيما أحله الله تعالى وفيما يعود على صاحبه بالنفع؛ كأنواع الأطعمة والأشربة والملابس المباحة، أو الزواج بامرأة معينة، أو الميل إلى مجالسة صديق دون غيره، أو ممارسة نوع من الرياضة، أو غير ذلك من متع الحياة الدنيا المباحة.

وقد يكون الهوى فيما حرمه الله تعالى، وفيما يعود بالضرر على صاحبه أو غيره؛ كالزنا، والقمار، أو شرب الخمر وتعاطي المخدرات، أو شرب الدخان، أو جمع المال من الحرام ولو على حساب الآخرين، وغير ذلك.

ولأن التحرر من أسر الهوى ليس أمرًا سهلًا، فقد رحتُ أبحث عن وسائل هذا التحرر في تعاليم الإسلام، فوجدتُ أنَّ من أعظم ما يساعد الإنسان على التغلب على هواه وعدم السير خلف الشهوات المحرمة؛ مراقبة الله سبحانه وتعالى والخوف من عقابه ورجاء

ثوابه، قال عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾

(النازعات: ٣٧ - ٤١).

وكذلك وجدت مما يساعده على ذلك الإكثار من الدعاء والذكر والاستعانة بالله والالتجاء إليه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ (البقرة: ١٨٦).

وكم كانت سعادتي كبيرة عندما وجدتُ الإسلام يشير إلى تعويض النفس عما تركته لله تعالى بما تحبه من الأشياء المباحة، واستعمال نِعَم الله عز وجل في طاعته واجتناب معصيته، كما قال قوم موسى عليه السلام لقارون:

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ (القصص: ٧٧).

فكر وناقش

- ما نوع العلاقة بين الظن، ما تهوى الأنفس، الهدى، كما استبنته من الآية ٢٣ من سورة النجم؟
- لماذا يصد الهوى عن الحق؟

التحرر من هوى النفس يؤدي بها إلى السلامة من رذائل الأخلاق ومن الوقوع في الحرام، ارجع إلى كتاب «روح الطهارة» من هذه السلسلة واقرأ عن أثر الطهارة في تحقيق هذه السلامة .

التحرر من المعاصي والذنوب

لقد أدركت من بداية إسلامي أن من لوازم الإيمان الاستسلام لأوامر الله عز وجل، وذلك بأن يطيع المسلم الله جل وعلا ولا يعصيه، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١﴾ (الأنفال: ١).

وقد بيَّن عز وجل عاقبة الطاعة والعصيان، فقال عز من قائل: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾

(النساء: ١٣، ١٤).

وهذا يبين أهمية الطاعات وخطورة المعاصي وضرورة التحرر منها، سواء كانت تلك المعاصي من صغائر الذنوب أو من كبائرها.

ولكن، هل يمكن أن يعيش المسلم طوال حياته بلا معصية؟

هل يمكن أن يؤدي كل ما عليه من فروض وواجبات، ويترك كل ما حرمه الله عليه، دون أي خلل في كل ذلك؟

يقول النبي ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ» (رواه ابن ماجه)، وهذا يعني أنه لا يمكن أن ينجو الإنسان من الوقوع في الخطأ والمعصية.

لكن الناس يتفاوتون في ذلك؛ فمنهم من لا يقع في الذنوب إلا نادرًا، ومنهم من يسرف في المعاصي، ومنهم بين ذلك، وفي كل الأحوال فإن الواقع في المعصية عليه أن يسارع إلى التوبة وعمل الصالحات والعودة لطريق الهداية ليُكَفِّر الله عنه سيئاته، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ (طه: ٨٢).

وإنَّ من جمال الإسلام مراعاته حال بني آدم، فالله عز وجل يعلم ضعف الإنسان، وأنه يمكن أن يقع في العصيان، لكنه يفتح له بابًا عظيمًا للتوبة والرجوع إليه، مهما كثرت ذنوبه.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ (الزمر: ٥٣).

بل إن كرمه سبحانه وتعالى يتجلى مع التائبين بأعظم صورة، وذلك بأن يحوِّل سيئاتهم التي تابوا منها إلى حسنات!

يقول تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ (الفرقان: ٧٠).

يتجنب المسلم الذنوب والمعاصي حفظًا لمعاني التوحيد التي آمن بها، وإذا وقعت منه معصية فإنه يسارع لمحاسبة نفسه، ويبادر إلى التوبة، ويبحث عما يساعده في تجنّب الوقوع فيها مرة أخرى؛ من تقويةٍ لحبّ الله تعالى في نفسه، والحياء منه والخوف من عقابه، فذلك أقوى محرّكٍ للطاعات، واجتناب المعاصي.

خلاصة

التقويم

١ اذكر مما تعلمته من القرآن الكريم دعاء يحقق معاني التوحيد، تلجأ فيه إلى الله تعالى عند الكرب والهم.

٢ اكتشف العبارة غير الصحيحة فيما يلي ثم صححها:

يكفي المسلمَ أن يردد عبارات التوحيد ويقولها بلسانِه لينال رضا الله تعالى .

المسلم يشعر دومًا بالاستعلاء على الناس وأنه خير من كل فرد فيهم .

يحرص المسلم على الحقائق العقلية فقط .

٣ كيف يحافظ المسلم على علاقته مع الله تعالى في حال اقترافه لمعصية؟

٤ ماذا تستنبط من قول النبي عليه الصلاة والسلام: «لا تُطرُوني كما أطرَت النصارَى عيسى ابنَ مريم، فإنما أنا عبدٌ، فقُولوا: عبدُ الله ورسولُه» (رواه البخاري)؟

الخاتمة

هذا ما أردت عرضه من تفاصيل رحلتي التي كنت فيها منصفًا وطالبًا للحق بصدق وإخلاص وتجرد، والتي انتهت بدخولي في الإسلام؛ لقناعتي أنه دين الحق.

ويمكنني في هذه الخاتمة أن أعطي خلاصة مفيدة لهذه الرحلة في نقاط:

- **الإسلام يتصف بصفات** وخصائص ليست في غيره من الأديان.
- **العقيدة الإسلامية سهلة** واضحة لا لبس فيها، ابتداءً من قضية وجود الله تعالى ووحدانيته وصفاته وأفعاله، مرورًا ببقية أركان الإيمان؛ الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدَر.
- **عقيدة الإسلام وتعاليمه منظومة** علمية تخاطب العقل الصحيح ولا تعارضه، وتحض على التفكير الحر المنضبط بقواعد التفكير السليم.
- **الإسلام دين عالميٌّ**، لا عنصرية فيه ولا تفرقة بين جنس وآخر، وعرق وآخر، ويدعو كل البشر للدخول فيه.
- **الإسلام يحدد وظيفة الإنسان** التي خلق لها بوضوح، ويضع خريطة واضحة المعالم لأداء هذه الوظيفة على أكمل وجه.
- **تعاليم الإسلام فيها حلول** لكل مشكلات البشرية، والالتزام بها كفيل بإقامة حياة فاضلة في الدنيا.
- **أعظم ثمرات الدخول في الإسلام** تحقيق السعادة والفلاح في الآخرة، بدخول جنة الخلد.
- **خلاصة الخلاصة:** لا خلاص للإنسانية من ترديها، ولا سبيل لها لتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، إلا باتباع تعاليم خالقها ودينه الذي ارتضاه لها.
- ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).
- ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (آل عمران: ٨٥).

والحمد لله رب العالمين

مركز أصول
OsoulCenter
www.osoulcenter.com

هذا الكتاب موجه للمسلم الجديد، يخاطب عقله، كما يخاطب قلبه ونفسه؛ ليُثبِّته على الإيمان، بأدلة الوحي والعقل، وهو في الوقت نفسه موجه لكل شخصٍ باحثٍ عن الحقيقة؛ لعله يرى النور.

وغاية الكتاب ربط الناس بخالقهم، وتعميق إيمانهم بالدين الذي ارتضاه لهم، والتدليل على دور عقيدة الإسلام في تحرير الروح الإنسانية، والنفس البشرية، من أغلال الشرك والإلحاد والهوى، والشهوات المؤدية لكل المهلكات، الموقعة بني آدم في البؤس والشقاء في هذه الحياة، وفي العذاب الأليم يوم القيامة.

يأتي هذا الكتاب ضمن سلسلة السلوك والتزكية، التي تضم أربعة عشَر كتابًا بُنِيَت وَفق طريقة التعلم الذاتي؛ لإكساب المسلم ما يحتاج إليه من معارف تُعينه على تهذيب نفسه وتزكيتها، بُغية الثبات على دين الله، والدعوة إليه ونشره بين الآخرين.

لتحميل هذا الكتاب وغيره من الكتب، من خلال متجر أصول:

osoulstore.com